المشرق

طرفة

في تاريخ الكنيسة بالحبشة

لجناب الصيدلي القانوني عبد الله افندي مخائيل رعد المتخرّج في مكتبنا الطبي

المقدّمة واهداء العمل

فليسمح لي قرّاء المشرق الاجلّاء ان آتيهم بطرفة من تاريخ الحبشة ودخول النصرانيّة لهذه البلاد المجهولة وان اطلعهم على خلاصة ما قاساه المرسلون الكاثوليكيّون اساقفة وكهنة من انواع العذابات وما لاقوه ويلاقونهُ كلّ يوم من المصاعب الجمّة في سبيل البشارة بالانجيل الطاهر وتعليم هاته الأقوام المتوحشة مبادي الدين القويم قاعدة الفضيلة وشرف النفس واساس التمدّن والعمران. راجياً ان يروق ذلك في اعين محبي التاريخ الكنسي. واقراراً بفضل هؤلاء الافاضل المطوّبي الذكر والاسم الذين غادروا ويغادرون بلادهم وذويهم وطيب معيشتهم واقبلوا ويقبلون على تجشُّم المتاعب والاخطار ومقاساة الجوع والحرّ والعذاب والاستشهاد ولا مقصد لهم ولا مرمى الّا اتمام وصيّة معلمهم الالهي الذي قال لهم بشخص الرسل سلفائهم: «اذهبوا وتلمذوا الامم »

خدم المرسلون ويخدمون الدين والعلم في كل آن ومكان وينسب اليهم اليوم البغاة عدم النفع للهيئة الاجتماعيّة. مهّدوا طريق التمدّن والعمران بصبرهم وشجاعتهم وعلمهم حتى باراقة دمائهم الزكيّة ويرميهم اليوم الناس بحب الذات والجبن والجهل. بفضلهم

فتحت البلاد المجهولة والمنسية وانتفع منها الحاكم والعالم والتاجر والعامل واليوم يطردهم ناكرو الجميل من بلادهم وبيوتهم . عملوا ويعملون افعال الرحمة الروحيَّة والجسديَّة فقام نحوهم اليوم عديمو الرحمة بانواع الاهانة وعدم الشفقة . ولكن تمرّ قريباً ان شاء الله هذه الاضطهادات مرور السحاب الخُلَّب ولا تُنقِص شيئاً من شجاعتهم وصبرهم ومحبتهم القريب فهم هم على ما عُهد بهم من البسالة الدينيَّة وسيجاهرون فرحين اينما حلّوا وحيثما رحلوا بكلمة الانجيل وبعمل الرحمة معتمدين على ما قالهُ لهم المسيح مرسلهم : « انا معكم الى انقضاء الدهور » وراجين الطوبى التي سبق فوعدهم بها قائلاً : « طوباكم اذا طردوكم وعيّروكم وقالوا عنكم كل كلمة سوء من اجل ابن الانسان »

اعتمدتُ لسرد حوادث هذه اللمحة على كتب ومخطوطات المرسلين والرحالين من كهنة اجلاء وعلمانيين كرام وجدتُها مجموعةً في هرر وأوالِه في اديرة حضرات الآباء الافرنسيين المنتسبين للقديس افرنسيس السرافي المعروفين بالرهبان الكبوشيين الذين فتحوا لي لطفاً وكرماً باب مكتبتهم لاقضي بها اوقات الفراغ بالبحث والتنقيب عن هذا الموضوع ولم يبخلوا عليَّ بايضاحاتهم وانارتي بضياء علمهم وسعة معارفهم فلحضراتهم مني عاطفة الشكر والثناء

على انّي مع اعترافي بقصر باعي وعدم كفاءتي ان أفي المقصود حقّه من الاتمام مع الايجاز تجرأت وان اعرجَ بين فوارس ميدان الكتابة والتاريخ ان اهدي هذا العمل الصغير لحضرة مولاي ورئيسي بحر العلم واللطف والكرم وقدوة الطهر والفضيلة الاب كاتين رئيس الرسالة اليسوعية في سوريَّة ومدير المكتب الطبي الافرنسيّ في كليَّة القديس يوسف في بيروت اقرارًا بما لهُ عليَّ من الفضل والمنَّة راجياً ان يلمحهُ بعين الرضى وسائلاً لهُ بالختام ان تكثر سنو عمره ليتمم اعماله الجيدة في وطننا هذا العزيز الذي احبه وخصَّص لخدمته حياته قصد رفع منار الدين واحياء العلم والفضيلة لمجد الله الاعظم

الحبشة

هي البلاد التي ذكرتها نسخة التوراة العبرانية تحت اسم « كوش » او « كوشيم » (כושים) ثم دُعيت بعد ذلك « ايثيوبيا » (Ethiopia) واخيرًا « ابيسينيا » او

« حبشة » . والعلماء يشتقُّون غالبًا كلمة « ايثيوبيا » من كلمتين يونانيتين وهما (αἴθω) « أحرق » و (ὤψ) « الوجه » لسواد وجوه قاطنيها . وقال غيرهم ان هذا الاسم اقدم من عهد اليونانيين ولا علاقة لهُ بهذا الاصل البتَّة والله اعلم . امَّا كلمة ابيسينيا فقد اجمع الاكثرون على أنها مشتقة من العربيَّة فالعرب اول من دعا قاطن هذه البلاد حبشيًا (اي مختلط الجنس) ثم حرَّف البرتغاليون هذه الكلمة فقالوا (Abexim) ثم (Abessin) فظنُّوها من اللاتينيَّة « abyssus » قالوا لكثرة ما في الحبشة من الوديان والهاويات . ومنها قال الافرنسيون (Abyssin) . هذا وان الاحباش يفتخرون باسم ايثيوبيين (وفي لغتهم ايثيوبيافان) لكنهم يعتبرون كلمة حبشي اهانة لهم . هؤلاء هم الامم الذين بشرهم القديس متاوس الرسول بالانجيل ومنهم خصيّ الملكة كنداكة الذي عمَّدهُ احد تلامذة المسيح السبعين القديس فيلبُّس

الحبشة قبل المسيح

كان يقسم الاقدمون الحبشة الى ثلاثة اقسام وهي : الحبشة الافريقية والحبشة العربيَّة وحبشة آسيا الجنوبيَّة . وكانت هذه المملكة تمتدُّ من جنوبي مصر الى الدرجة السادسة من العرض الجنوبي محتوية تحت سيطرتها صحراء عَدَل (Adal) وبلاد السودان والنوبة والكالا والكوركورا والصومال والكافا والكونكو وهرر واليمن وبرّ العرب وجزءًا من الهند وغير ذلك . وقاعدة هذه البلاد كانت مدينة سبا . لذلك كان يدعى البحر الاحمر بالبحر او الخليج الحبشي لانحصاره داخل مملكة الحبشة . واليوم لا يُطلق هذا الاسم الّا على حبشة افريقية

وممَّا جاء في تقاليد الاحباش ان قد حدثت حرب اهليَّة في المملكة فتتغلَّب فيها سكان جهة آسيا على قاطني جهة افريقية وطردوا ميكادي ملكة سبا التي هاجرت الى اورشليم على عهد الحكيم سليمان بن داود النبي واحتمت بهذا الملك الذي اتخذها زوجة لهُ بالسرّ ثم عرف ذلك اليهود فاضطرّ الملك الى طردها وعادت الى الحبشة الافريقيَّة فسكنت مدينة اكسوم حيث ولدت ابنًا وهو منليك الاول ومن سليلته قام منليك الثاني وهو النجاشي الحالي الذي يفاخر بكونه من دم سليمان الحكيم وأسد سبط يهوذا

فلمَّا شبَّ منليك الاوَّل وكانت والدته قد اتخذت الاكسوميين من حزبها ارسلت ابنها هذا الى ابيهِ في اورشليم ليتقن العلوم ثم يعود ويستولي على الملك . وعند عودته ارسل

معهُ ابوه عدداً عظيماً من اليهود فملك وادخل الدين اليهودي وكانت الديانة الشائعة في تلك الأيام بالحبشة عبادة الاوثان والاصنام وخصوصاً عبادة الحية . ومن ذاك العهد اخذ كثير من اليهود بالمهاجرة الى الحبشة . اه

هذه تقاليد ليست من الصحة بمكان انما الاحباش يقتنعون بها كل الاقتناع وينزلونها مكان الصحة التي لا ريب فيها . وما هي الّا حكاية لفّقها قدماء الاحباش مبنيَّة على مهاجرة اليهود الى البلاد الحبشيَّة في ايام نوائبهم التي يذكرها لنا التاريخ على عهد الاسر البابلي وخراب اورشليم وفتوحات الخليفة عمر ونحو ذلك . اماً هؤلاء اليهود فلم يزل منهم الى يومنا هذا نحو من ثمانين الف رجل متفرقين في هذه المملكة ويُعرفون باسم «فلاشا» .

وما عدا اليهود قد هاجر الى الحبشة كثيرٌ من الساميين على عهد الاسكندر الكبير وبعض من المسيحيين المصريين في عهد الاضطهاد الذي حدث في القرنين التاسع والعاشر وغيرهم في غير آن فصارت الحبشة مختلطة من اجناس كثيرة لذلك دعاها العرب بهذا الاسم

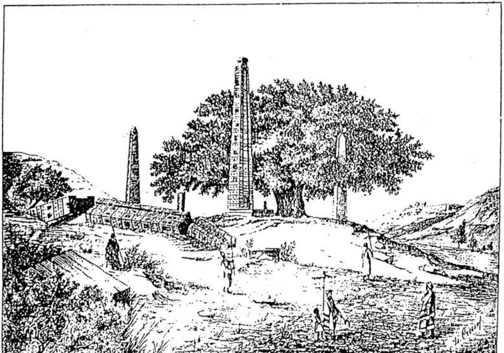
الحبشة بعد المسيح

تنقطع بعد منليك الاول تقاليد الاحباش (١ ولا يُعرف الّا شذرات بغير رابط على تقلب المملكة وحروبها واسماء الملوك الذين ساسوها حتى السنة ٣٤٠ بعد المسيح التي بها سطع نور الانجيل في العاصمة اكسوم وذلك على عهد مُلك الاخوين أبراها وأتبياها اذ بشّر الاحباشَ بالايمان شابّان من الفينيقيين اسمها فرومنس واديز (Frumence et Edèse) كانا ابني اخ الفيلسوف الصوري ميروبيوس الشهير واليك ترجمة الخبر بالاختصار

رحل هذا الفيلسوف مع ابني اخيه رحلة علميَّة الى الهند وعند عودتهم رست بهم السفينة على احد شواطئ الحبشة ونزل من فيها الى الارض ليبتاعوا لهم مؤونة ففاجأهم

---

١) هذه التقاليد محررة باللغة الحبشية الاعرابية على رقّ غزال جمع شتاتها احد الاحباش الكاثوليك واهداها لرئيس الرسالة الكاثوليكية في هرر فترجمها الى الافرنسية احد الآباء الكبوشيين المتضلّع باللغة الحبشية ترجمة مضبوطة وهي تحتوي على اشياء كثيرة بخصوص سفر منليك الاول الى اورشليم وعودته وكيف استرجع المُلك الى غير ذلك وليس المقصد من اطالة الكلام عن ذلك في هذا المقام



آثار قديمة في أكسوم عاصمة الحبش سابقاً

قوم من الاحباش البرابرة وذبحوهم ولم يستبقوا منهم الّا الولدين المذكورين لصغر سنهما وجمال خلقتهما وساقوهما الى ملكهم المدعو سامارا فاقتبلهما هذا الملك بحنوّ وأعتقهما من العبوديّة وسلّم اليهما اولاده ليعلماهم العلم والادب. فانتهز هذان الشابان الفرصة وعلّماهم الديانة المسيحية وكذلك بشّرا كثيرًا من اهالي المدينة الى ان مات الملك المذكور وخلفهُ اثنان من اولاده كانا تخرَّجا على يد الاخوين فرفعا منار الدين المسيحي وانتشر بهما نور الانجيل في ذاك الاقليم. ثم بعد ذلك عاد اديز الى وطنه مدينة صور وذهب فرومنس الى القديس اثناسيوس بطريرك الاسكندريّة حاملًا اليهِ خبر انتشار الديانة المسيحية في شمالي الحبشة فانتعش قلب البطريرك القديس من هذه البشرى ولم يشأ الّا ترقية فرومنس الى درجة اسقف وارساله الى اكسوم ليتمّم عمله الجيد في كرم الرب الذي غرسهُ. فقام هذا الحبر باعباء وظيفته حقّ القيام وطوّبتهُ الكنيسة المقدسة بعد وفاته. وكذلك الكنيسة الحبشية تكرمهُ الى اليوم تحت اسم « قدّوس فراماناتوس »

مكثت هكذا الحبشة مدة من الزمن وهي بنجاح متواصل في الديانة المسيحيّة رغمًا عن الصعوبات والاضطهادات التي لاقتها من اليهود والوثنيين وامتدّت النصرانيّة في كل انحاء المملكة وقام الاحباش انفسهم ببشارة الانجيل فبلغوا جنوبي افريقية. وقد اخبر الرحّالة الشهير فاسكو دي كاما (Vasco de Gama) انهُ شاهد عددًا كبيرًا من المسيحيين في جهات الموزمبيك يُدعون هناك احباشًا. وجاء وقت اولئك المسيحيُّون الاحباش ان يبشروا بالانجيل في جميع انحاء افريقية كلها. وفي الجيل الرابع قام الملك الحسن العبادة « خالب الاصبهان » وتعدّى البحر الاحمر مع عساكره اجابةً لالحاح البابا والقيصر يوستينيوس الاوّل وذلك ليخلّص المسيحيين اخوته في اليمن من مخالب اليهودي ذو نؤاس الذي كان يضطهدهم ويذيقهم انواع العذابات (١. وقد أُحصي بعد وفاته هذا الملك في عداد القديسين في السجلّ الروماني تحت اسم القديس الاصبهان وتقيم الكنيسة الرومانيّة تذكاره في اليوم السابع والعشرين من شهر تشرين الاوّل (٢. ولتتمّ البشارة في افريقية كان يجب على الكنيسة الحبشيّة ان تبقى محافظة على الامانة مع

١) راجع مجاني الادب (الجزء الثالث ص ٣٠١)

٢) من كتاب السيد ماسايا الكردينال وعنوانهُ « خمسة وثلاثون سنة من رسالتي في الحبشة »

شركة الكنيسة الرومانيَّة ولكن لسوء حظها حادت عن هذه الشركة المقدسة ووقعت في الهرطقة في الجيل السابع اذ قد ضغط عليها بنيامين بطريرك الاسكندريَّة الاراتيكي واسقطها معهُ في بدعة اوطيخا فامتدت هذه الهرطقة في الحبشة وتأصلت جذوعها فيها ولم تزل الكنيسة الحبشيَّة الى يومنا هذا متسكعة وسط هذا الظلام الحالك ما خلا بعضًا من الذين حافظوا على الامانة الكاثوليكيَّة ولم يقبلوا الهرطقة ويدعوهم الاحباش «سوستلاديث» وهم قوم متشتتون في انحاء الحبشة واكثرهم في ناحية التكره لهم بعض كنائس وهم اليوم على طقسهم خاضعون للاسقف اللاتيني النائب الرسولي

ثم قام في الجيل الثالث عشر (سنة ١٢٠٠) اسقف صالح يدعى «تقلاهيمانوت» وتقلّد عصا رئاسة الاساقفة وخضع للكرسي الروماني وبشَّر الهراطقة والوثنيين ورمم الاديرة واحدث قبل وفاته قانونًا حافظت عليهِ الكنيسة الحبشيَّة الى يومنا هذا وهو ان الاساقفة يجب ان يؤخذوا دائمًا من الكهنة الذين تعهد بهم اللياقة لهذه الدرجة في البطريركية الاسكندريَّة. ولكن عُقب وفاته عاد الحبشة الى بدعتهم الاولى لان الاساقفة بعده أُخذوا كلّهم من الاقباط الهراطقة في مصر الذين لا يزالون الى يومنا هذا يعمهون في ضلالهم. وفي نهاية الجيل الثالث عشر واوائل القرن الرابع عشر استولى على المُلك رجل صالح يُدعى لاليبلا واعتنق الديانة الكاثوليكيَّة ويدعوه الاحباش باسم القديس لويس الحبشي ولكن ما لبث الحبش ان عادوا الى ضلالهم. وفي نهاية ذاك الجيل اتى الى هذه الديار اثنا عشر من الرهبان الدومنيكيين وبثُّوا نور الكثلكة في عدة اماكن حتَّى فازوا باكليل الاستشهاد في مقاطعة التكره. وقام الفلاشا على اثر ذلك بانواع الاضطهاد ضد الكاثوليكيين فقتلوا منهم جزءًا والجزء الآخر اختبأ في مغاور جبال الشومازينا فسدّوا عليهم افواه المغاير حتى ماتوا جوعًا وهؤلاء يكرمهم اليوم الاحباش تحت اسم «تسادقان نيومان» اي الصدّيقين الراقدين

ثمَّ تعاقب بعد ذلك كثير من الملوك على السدة الحبشيَّة وعدد قليل من الاساقفة الاوطيخيين وادخلوا هرطقات اخرى فوق هرطقتهم: من ذلك انهم ابطلوا سرَّ المعمودية وجعلوه اغتسالًا سنويًّا بالنهر يوم عيد الظهور والغوا الزواج الكنسي واعتاضوا عنهُ بالزواج الوقتي واجازوا الطلاق على انواعه وتزويج الرجل ما شاء من النساء الواحدة بعد

طلاق الاخرى وزادوا على ذلك الفسق وسجوا للملوك والوزراء باتخاذ اكثر من امرأة واحدة في وقت واحد. واصبح الاساقفة طوع بنان الملوك والامراء في كل ما يخص الدين فزاد ظلام الكنيسة الحبشيّة ظلاماً وانغمس الشعب باجمعه في الرذائل والهى الفسق الملوك والامراء عن الاهتمام بامر المملكة وحدث اثر ذلك اضطرابات داخل الحبشة وعلى كثير من حدودها. ففي اوائل القرن الرابع عشر استولى البرابرة المجاورون لهم على سواحل البحر الاحمر الغربيّة وجمعوها بمملكة تحت اسم مملكة عدل بعد ان حاربوا زمناً طويلاً الحبشة وخربوا فيها ما خرّبوا واتوها باضرار جمّة. وكذلك قام قبائل الصومال والاقار واستولوا على زيلع وعلى جزء آخر من المملكة ثم تقوّوا بالبنادق والاسلحة النارية وهاجموا الحبشة ايضاً واخذوا منهم هرر وضواحيها. وقامت ايضاً الدناكل في اواسط الجيل الخامس عشر واستولوا على جهات تجرّه وسواكن وشمالي التكره. وهكذا صغرت المملكة الحبشيّة بعد عظمتها الاولى وكان ذلك على عهد الملك داود الثالث وبمساعدة اليهود الاحباش (الفلاشا) الذين سعوا ايضاً باحراق الكنائس وهدم الاديرة وذبح الكهنة والرهبان في طريقهم

فعند ذلك استنجد الملك داود بدولة البرتغال التي كانت في ذلك الزمان امّ الاستعمار فيما بين الدول الاوربيّة فلبّت هذه الدولة نجدته وارسلت الجنرال خريستوف دي كاما (Christophe de Gama) مع ٤٥٠ مقاتلاً من البرتغاليين وعدد من العساكر الاستعماريّة الذين نزلوا في مصوّع وهاجموا القبائل المتعديّة بقوة المدافع والكتل الناريّة واعادوا هذه الجهة الى المملكة الحبشيّة. وعلى اثر ذلك جاء الى الحبشة عدد من الرهبان الفرنسيسكانيين واخذوا بالبشارة في جهات التكره وفي هذا العهد توفي الملك داود الثالث وخلفهُ على الملك ابنهُ كلاوديوس الذي اعتنق الكثلكة. ولكن بعد سنة واحدة عادت تلك القبائل فتقوّت وهاجمت البرتغال وكسرتهم في موقعة جرت في جنوبي عدوى سنة ١٥٤٢ ووقع الجنرال دي كاما في يد الامم ومات استشهاداً في حفلة اقامها كران (Gragne) رئيس هذه القبائل في نشوة انتصاره. لكنَّ هذا الجبّار قُتل بعد ذلك في موقعة ويناديكا وخلفهُ على سرير هرر ابنه نور. ثم هدأت عقب ذلك الاضطرابات بين الحبشة وهذه القبائل. فاغتنم فرصة هذه الهدنة السيد البطريرك

اوفيدو (Oviédo) الراهب اليسوعي مع عدد من المرسلين اليسوعيين والمحافظين والكبوشيين واتوا الى الحبشة وجاهروا فيها بتعليم الديانة الكاثوليكية فاستمالوا اليهم عددًا كبيرًا من الوطنيين واميرًا من العائلة الملكيَّة يدعى « سلاح خريستوس » على عهد الملك « ملاك سكّاد » غير أنّهم بعد ذلك ذاقوا اهانات كثيرة هم والامير والكاثوليكيون تلامذتهم فطُرد البعض ونُفي البعض وقُتل البعض. وعلى اثر ذلك سنة ١٥٧٧ بعث البابا يوليوس الثالث الى السيد اوفيدو الذي كان تائهًا في براري الحبشة وقفارها ان يغادر هذه البلاد ويذهب في البشارة الى نواحي الصين واليابان لكنَّ رجل الله هذا فضَّل ان يموت جوعًا وعريًا في بلاد سقاها من اعراقه وشربت دماء المسيحيين

ثم اتى في الجيل السادس عشر عدد من المرسلين اليسوعيين البرتغاليين والاسبانيين وكرزوا وتلمذوا واستمالوا قلب الملك سوسنيوس الذي اعتنق الكثلكة وامر وزراءه وعموم الشعب بطرد نسائهم غير الشرعيات وثابر على امانته الى نهاية عمره سنة ١٦٣٢. لكن بعد وفاته هاج الامراء والمثرون اذ وجدوا نير الزواج المسيحي ثقيلًا على اعناقهم ودفعوا للهياج النساء غير الشرعيات اللواتي تركهنَّ ازواجهنَّ فتجمهر الشعب وطلب الى الملك « باسيليدس » ان يلغي شرائع سالفه ويعيد السُّنن القديمة. فاجابهم هذا الملك الى طلبهم وعادت الحبشة الى فظائعها السالفة

وفي ٧ آب سنة ١٦٣٨ جاء بلاد الحبش اثنان من المرسلين الكبوشيين وهما الاب اكاتنج الفاندومي (P. Agathange de Vandôme) والاب كاسيان النانتي (P. Cassien de Nantes) غير انهما استشهدا شنقًا في كوندر (Gondar) وقد ذكر تاريخهما ان الهراطقة نددوا باستعجالهم الحبال المعدّة لهذه الذبيحة والتزموا ان يؤخروا العمل بضع ساعات لكن الابوين المذكورين اذ نظرا ارتباك هؤلاء البرابرة خافا لئلّا ينزع عنهما هذا الوقت اكليل الاستشهاد واشارا بنداجة الى منطقة الرهبنة التي يتنطقون بها حقويهما وهكذا استُعملت هذه المناطق كآلة لعذابهما. وزدْ على ذلك ان البرابرة اذ رأوهما لم يموتا سريعًا اخذوا يرجموهما بالحجارة الى ان فاضت نفساهما البارّتان. فالكنيسة المقدسة اليوم تهتم بامر تطويبهما وكذلك بامر تطويب الاب بايز (P. Paez) ورفقته اليسوعيين الذين ذبحهم

الملك باسيليدس نفسه في جهة أخرى من الحبشة (١

وباشارة هذا الملك ايضاً قطع امير سواكن رؤوس ثلاثة مرسلين كبوشيين كانوا آتين الى الحبشة وارسل لهُ رؤوسهم حيث عرضها الملك للشعب في حفلة مدنية . وهكذا باسيليدس وخلفاؤهُ جاهروا في اضطهاد الكاثوليكيين وذبحهم ولم يخجلوا بان يدعوا انفسهم « بني بطرس وبولس بنعمة الله » . وقد حملهم نكران جميلهم حتى على قتل من تبقّى في بلادهم من البرتغاليين الذين خلّصوهم من نكباتهم في السالف . ثمَّ قام بينهم مدةً ملك صالح يدعى « ياسوس الاول » لكنَّ اوامره ووصاياه ذهبت ادراج الرياح لتعصّب عموم الشعب والاكليروس الحبشيّ ضدّه فمات ولم يأت بنتيجة تذكر . ومن ذلك العهد اخذت الحبشة ان تضعف قوتها ومن جهة أخرى جملت قبائل الكالّا المجاورة لها تهاجر اليها قوماً بعد قوم والاحباش غير قادرين على ردعهم فامتلأت منهم جبال الحبشة في كل نواحيها واخذوا بالنموّ والاكثار حتى صاروا من الاهميَّة بمكان لما طُبعوا عليهِ من النشاط وتعاطي الحراثة والزراعة وتربية المواشي ونحو ذلك فضلاً عن ائتلاف كلمتهم وتكلمهم جميعاً بلغة واحدة (بينا يتكلم الاحباش لغات متعدّدة على حسب المقاطعات ولا يفهم احدهم لغة الآخر) . فتقوّى الكالّا وتقدموا بالوظائف العسكريَّة على زمن الملك داود الرابع حتى جاء وقت فيهِ اختلسوا الُملك من الاحباش وذلك بعد عهد الملك « ياسوس الثاني » في الجيل السابع عشر فان الملك المذكور تزوج بامرأة من الكالّا . ولمَّا مات جلس ابنه « يواش الاوَّل » وكان صغير السنّ فتولت امه امر المملكة وعملت الدسائس مع بني جلدتها وتوصّلت بذلك الى تنزيل ابنها عن الُملك الذي علا سدّته واحد من الكالا وهكذا بقي الُملك يتراوح مدة طويلة من الزمن تارةً بايدي الكالّا وتارةً بايدي الاحباش والكنيسة الحبشيَّة مصرَّةٌ على ما هي بهِ من الهرطقة لا بل ان عدد الهراطقة انفسهم نقص كثيرًا لانَّ الملوك الكالا كانوا وثنيين واضطهدوا المسيحيين من ايّ طائفة كانوا . وممَّن اشتهروا بالقساوة والظلم على المسيحيين بعد الملك كوكسا وابنه ماريه وسبكادنس ووثادر ودُوري وغيرهم . وبقيت هكذا الحبشة الى ان تبوّأ سدّة الملك

١) من كتابات الاب مارسيال دي سلفياك الكبوشي وعنوانها Les Galla وهي مخطوطات جميلة محفوظة في دير أُوّاله

في الجيل الثامن عشر الراس علي الذي كان رجلًا شجاعًا متواضعًا ميالًا الى التمدن ومحبًا للخير . وهذا عزّز في ايامه المرسلين الكاثوليكيين واعطاهم ملء الحرية في نشر دينهم وسمح للاوروبيين ان يتعاطوا الرحلات العلمية في بلاده (البقية للآتي)

التمثال المكتشف حديثًا في جبيل

نظر للاب لويس جلابرت اليسوعي

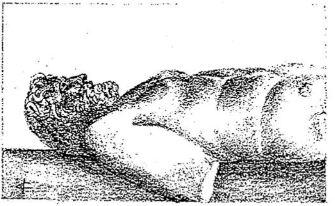
قد انبأت حديثًا الجرائد المحلية بما اكتُشف في جبيل من العاديات في اواخر ايلول الماضي. وقد رأينا بهذه النسبة ان نكتب هذه الاسطر الوجيزة لاستدراك بعض المزاعم الباطلة التي اشاعها اول مكاتبي الجرائد ولإعمال نظر الانتقاد في حقيقة هذا الاكتشاف ومعناه

اول من افادنا عن الامر حضرة الكافليار الشيخ يوسف حبيش مدير ناحية جُبيل الذي عُرف بهمّته في البحث عن العاديات وبنزاهته في خدمة العلم فانهُ اعزّهُ الله لا يكاد يقف على اثر جديد حتى يسرع فيطلع عليهِ من يرى لهم عناية بذلك. فبادرنا الى اجابة دعوته وانتقلنا الى جُبيل حيث اتخذنا كل الاعلامات عن الاكتشاف وظروفهِ من وضعهِ ومكانه. فهدانا الدليل الى موقع الحفر فاذا هو في رأس البلدة من جهة بيروت . فتذكّرنا انَّ هناك وُجدت سابقًا على بُعد بضعة امتار من الحفر الجديد قطعة من كتابة شهيرة فينيقية كانت منقورة على حجر فيهِ بقيّة من اثر هيروغليفي يحتوي على اسم احد فراعنة مصر اسمهُ شيشق (Sezac) ورد ذكرهُ في التوراة. وهذا الأثر قد كتب عنهُ العلّامة كارمون غانو بحثًا مهمًّا نشرهُ منذ اشهر قليلة في مجلة الكتابات والفنون الادبية

امّا الأثر الجديد فقد اكتشفهُ البناة في ارض من ملك رهبان الموارنة البلديين بينا كانوا يسبرون المكان ليستدلّوا على بُعد غورهِ قبل وضع الاساس فوجدوا التمثال في وسط ردوم تتركّب كلّها من حطام آجرّ يرقى الى عهد الرومانيين. فوسّع البنّاؤون الحفرة واخرجوا منها دون عناء التمثال الذي كان ملقىً على الحضيض

فاخذ الرهبان ذلك التمثال وجعلوهُ في مأمن عند بعض اهل جُبيل الذي ضمنهُ على ما قيل لنا بستمائة غرش فكان لا يدع احدًا يتفقّدهُ الّا بعد ان يدفع بشلكاً. فقُضي علينا ما قضي على غيرنا كأننا اتينا جبيل للفرجة من تلقاء نفسنا ولم يستدعنا حضرة المدير لنفيدهُ عن التمثال وحقيقة امره

فدخلنا اذن مكان معرض التمثال بعد أداء الأُجرة المفروضة وجعلنا في غيبة حضرة المدير نفحص الأثر فحصاً مدقّقاً كما يفعل الاثريون. واذا بالوكيل تصدّى لنا وخاف على اثره من فحصنا كأننا حاولنا استلابهُ. ولمّا اردنا تصويرهُ بالآلة الشمسيّة منعنا من ذلك منعاً قطعياً. فكيف لا يعلم اناره الله انّ هذه الآثار اذا نُشرت صورها عُرفت حقيقتها وزاد بذلك ثمنها وربح صاحبها ما لا يربحهُ دون ذلك لانّ العلماء اذا وقفوا على صورة العاديّات تفاوضوا في شأنها وعظّموا قدرها. وخلاصة القول انّ هذا الوكيل كاد يسلبنا ثمرة اتعابنا لولا انّ حضرة المدير قدم في تلك الساعة فكفانا جفاء هذا الناظر



رأس تمثال نبتون المكتشف حديثاً في جبيل

هذا ولمّا كان التمثال موضوعاً في قبر ضيّق زهيد السعة قليل النور ملقىً على ظهره لم يمكنّا اتقان صورته التي تجترئ باثبات رأسها فقط (في الصفحة ٩٢٤)

*

ودونك الآن ما استفدناه من درسنا لهذا الأثر ليعلم الوكيل انّ غايتنا كانت غاية علميّة بحتة

انّ هذا التمثال من الرخام الابيض الناعم الحبوب وهو اكبر من الجسم الطبيعي في الغالب اذ يبلغ طوله مترين تاماً. وقد حُفظ شلوه ورأسه حفظاً جيداً امّا طرفا قدميه فقد تلفا وذراعاه مقطوعتان فوق مرفقيه. وذلك تشويه يؤسف له لانهُ لا يمكننا القطع بصورة يديه وهيئتهما ربما كان يمسكهُ الاله فيهما من الادوات المشيرة الى عظمته



هيكل جبيل الكبير على عهد الرومان

ومن المرجَّح انَّ هذا الاله كان قابضًا بيدهِ اليمنى حربة مثلَّثة الاسنَّة وممَّا يشهد على ذلك انَّ في نخذهِ آثارًا تدلُّ على انَّ هذه الحربة كانت تستند اليهِ. وكانت الحربة منحوتة في الحجر

امَّا الاله الذي قُصد رسمهُ فهو اله البحر نِبتون يُرى واقفًا وقفة رجل يستريح من العمل ويستند بِثقل جسمهِ الى ساقهِ اليُمنى امَّا الساق اليُسرى فانَّها منحنية بعض الانحناء . وتلك هيئة طبيعيَّة كثر رسمها في تماثيل الأقدمين . والاله معرًّى من ثيابهِ لا يُرى على جسدهِ سوى شملة مثبتة على كتفهِ الشمال كانت يسراهُ تسند طيَّاتها الثقيلة

وعلى طول ساقهِ اليمنى دلفينٌ كما تحقَّق ذلك حضرة مدير جُبيل واصلح ما كتبتهُ جريدة الارز في انهُ تمساح . وفي فم الدلفين سمكةٌ صغيرة . والدلفين كما لا يخفى من شارات الاله نِبتون ومن مميِّزاته الخاصَّة

امَّا صناعة التمثال فمحكمة تدلُّ على حذاقة ناحتهِ وان وُجد تماثيل اخرى شتَّى احكم منهُ صنعًا . ومن دقَّق النظر في هذا الأثر وقابلهُ مع التماثيل العديدة المجانسة لهُ تحقَّق ان النحَّات كان رومانيًا بلا مراء فانَّ مجرَّد النظر الى هذا الأثر وهيئتهِ وتصوير سحنتهِ وتقاطيع وجههِ يدلُّ على انَّ الصانع كان يعرف الرومان حقَّ المعرفة . والراس خصوصًا غاية في الاتقان فانَّهُ يُشبه في بهائهِ وعزَّتهِ الصورة التي يخصُّ بها الأقدمون المشتري ابا الآلهة . امَّا صورة نبتون فهي عادةً تدلُّ على صرامة وعبوس فتسامح النحَّات واخرجها هذه المرَّة على شكل المشتري (١ . وفي القائمة التي اصطنعها العلامة سليمان ريناخ لتماثيل اليونان والرومان ٣١ تمثالًا من صنف تمثال جُبيل (راجع كتابهُ المجلَّد ٢ الجزء الاوَّل ص ٢٧ — ٣١) . واشبه تمثال بهِ تمثال نبتون

---

١) من اراد الوقوف على اكتشافات جبيل الحديثة فليراجع ما كتبهُ منذ عهد قريب المسيو دوسو في المجلة الأثريَّة في مقالة ضمَّنها خبر رحلتهِ الى سوريَّة (السنة ١٨٩٦ ج ١) . وكذلك قد كتب حضرة الاب رنزڤال عن هذه الاكتشافات مقالة نشرها في المجلَّة الكتابية (بدؤها في تمُّوز ١٩٠٣) . هذا مع مراجعة كتاب بعثة فينيقية لرينان

الذي وُجد في الجزائر في مدينة شرشل وهو اليوم في متحف مدينة الجزائر (ص ٣٠ ع ٣)

ولكن ما نستحبُّهُ خصوصاً في هذا التمثال انَّ الدهر لم يؤثر فيهِ فبقي على حسنه اللهمَّ ألَّا ما تكسَّر منهُ. ألا انَّ اصحاب هذا التمثال يبالغون في وصفهِ ليربحوا منهُ ارباحاً فاحشة. ولعلَّ طمعهم اذا غالوا في ثمنهِ يصدُّ المتاحف العاميَّة عن اقتنائهِ بالقيمة الواجبة

وفي ختام نبذتنا هذه نجيب على سؤالٍ ألقاهُ علينا بعض الادباء حيث قال: تُرى ما هو مقام هذا التمثال ونسبتهُ الى آثار جبيل القديمة ؟

(قلنا) انَّ جبيل كانت قديماً مركزاً دينياً للفينيقيين تحجُّ اليهِ الجماهير الجمهرة لزيارة مناسكهِ. ولمَّا صار الامر الى الرومان شيَّدوا في هذه المدينة هياكل عديدة منها الهيكل الكبير الذي ترى صورتهُ في الصفحة ٩٢٥ . وحضرة الاب رترڤال يرتأي انَّ مقام هذا الهيكل كان قريباً من المكان الذي وجد فيهِ تمثال نبتون حديثاً (١ . والظاهر انَّ هذا الأثر كان يزين ذلك الهيكل ولم ينجُ من الخراب والدمار الذي ألحقهُ النصارى بمعابد جبيل الوثنيَّة ألَّا لانَّ سدنة الهيكل اسرعوا واخفوهُ لئلَّا يصيبهُ ما اصابها. ولعلَّ النصارى ايضاً وجدوا التمثال مكسور اليدين فظنُّوا انهُ لم يعد يصلح لعبادة الجبيليين فلا بأس من ابقائهِ على حالتهِ

فمن ثمَّ ترى لايّ سببٍ لم يجد العلماء حتى الآن في جُبيل ألَّا آثاراً قليلة منها بعض كتابات ليس تحتها كبير امر او قطع محطَّمة من تماثيل وصور قديمة نُحتت على عهد الرومان او اليونان فانَّ النصارى عند فوز قسطنطين وانتصار ثاودوسيوس الكبير تحاملوا على كل آثار الوثنيين فكسَّروها لئلَّا يعود عبدة الاصنام الى دينهم الباطل. ولذلك نعدُّ وجود التمثال الحديث اكتشافاً مهمَّاً لعظمهِ وحسن بقائهِ ونتمنَّى ان يواصل

١) وقد وجدنا نحن ايضاً بعض اثار من هذا الهيكل الكبير في ملك احد ادباء المسلمين في جبيل فلم يضنَّ علينا بفحصها وتصويرها واكثرها مشوَّه بالكسر

الفعلة حنزهم تحت نظارة حضرة المدير الذي يعرف لهـذه الآثار قدرها جازاهُ الله خيرًا وابقاهُ لخدمة العلم والوطن

الركوسيَّة

لحضرة الكاتب الفاضل الاب انستاس الكرملي

قد تفضَّل حضرة الاب لامنس اليسوعي فزاد بعض تفاصيل على ما استلفتنا اليهِ افكار القرَّاء من امر الركوسيَّة وهذا ملخَّص ما جاء في افاداتهِ المتنوّعة :

١ً بين لفظتي الركوسيَّة والقورسيَّة تباين لغوي

٢ً ان الركوسيَّة شيعة نصرانيَّة غير مستقيمة الايمان وهو امرٌ لا ريب فيهِ يشهد على صحتهِ قول الزبيدي في التاج

٣ً في دينهم شيءٌ من اضاليل الصابئة وهذا لا يصحّ في نصارى بلاد قورس المستقيمي الراي

٤ً ان الصابئين كانوا يعرفون ايضًا باسم « كياريون » وهو لفظ غريب غلب عليهِ التصحيف. فقيل ان الصواب « كتباريون » وقيل « كسكريون » وهو الراي المرجح نسبة الى معاملة كسكر التي تدخل فيها واسط. وبعد الفحص وجد ان التشابه بين الكسكريين والركوسيين بعيد فهؤلاء ليسوا باولئك

٥ً ان الكاتب الفاضل يُرجّح ان الركوسيَّة فرقة من المرقيونيين وهذه الفرقة هي المعروفة باسم المرقوسيين ولا يبعد من ان العرب صحّفوا المرقوسيَّة بالركوسيَّة

٦ً قال حضرة المنتقد ان مقالته « على كلّ حالٍ . . . تُبطل رأيًا لا يحسبهُ صحيحًا اعني القول بان الركوسيَّة هم نصارى القورسيَّة »

فلننظر الآن في اقوال الكاتب الكريم ولنعرضها على محكّ الانتقاد لنتحقَّق اذا كانت آراؤهُ هذه صائبة. فاجيب على الترتيب السابق ذكرهُ قائلًا :

١ً ليس بين لفظتي الركوسيّة والكورسيّة او القورسيّة تباين لغوي يُذكر بل هو من قبيل التباين المعروف عندهم بالقلب لا غير. وهو شائع في لغتهم ولهُ امثلة كثيرة وبدون ان نبحث عن الفاظ جمّة وقع فيها القلب لنأخذنَّ مادتي « ك ر س » و « ر ك س » ولننظرنَّ اذا لم يقع فيها شيء من القلب — والحال مما نراهُ فيهما معاً: « الرِّكس » وهو شبيه المعنى بالرجيع. ومثلهُ « الكِرس » وهو البعر والبول المتلبد بعضهُ على بعض. والمعنى واحد تقريباً. ومن ذلك ايضاً « الرِكس » من الناس وهو الكثير وقيل الجماعة من الناس. ويقرب من معناهُ « الكِرس » وهو ابيات من الناس مجتمعة اهـ. وعليهِ فلا نرى تبايناً بين الركوسيّة والكورسيّة

٢ً ان حضرة الاب قد صرَّح بان الركوسيَّة شيعة غير مستتيمة الراي ثم بنى على ذلك ما بنى استناداً على قول صاحب التاج ونصُّهُ: « انهم قوم لهم دين بين النصارى والصابئين ». واماً نحن فقد استندنا الى قول ابن الاعرابيّ القائل انَّ الركوسيَّة من نعت النصارى وقد اطلق كلامهُ هذا ولم يحصرهُ في فرقة منهم فاستنتجنا انَّهم من اهل الدين القويم ولم نعتدَّ بكلام السيد المرتضى او المجد في قولهما: « دين بين النصارى والصابئين »: اولاً لان ذلك كلام مجمل لا يتحصَّل منهُ امرٌ مقرَّر — ثانياً لان العرب في تكلُّمهم عن فرق النصارى لم يُحسنوا التمييز بين ما يتقاسم هذه الفرق من الآراء والاختلافات المذهبيَّة لانهم غير مكلَّفين بذلك... الخ. ولنا شواهد على هذا تملأ عدداً من المشرق. ولعلَّك تقول ولِمَ اعتمدتَ اذن على كلام ابن الاعرابي لتكتب ما كتبت. قُل لهُ: انما فعلنا ذلك لما كان بيدنا من شاهد اللغة فازددنا ثقةً بما صرَّحنا بهِ. — ثالثاً لان الصابئة جاء في كلام العرب بمعانٍ مختلفة. فان فريقاً منهم جعلوهم من عبدة الكواكب (الفيوميّ والبيضاويّ وغيرهما) وجماعة حسبتهم بين عداد عبدة الملائكة (الكشاف ١: ٦٠) وقوماً اعتبروهم فرقة من النصارى (المصباح والكشاف ايضاً اذ يقول في ٢: ٥٨ عن الصابئين « انَّهم نوع منهم » اي النصارى) واحلَّهم المسعوديّ وغيره محلَّ الفلاسفة (مروج الذهب المطبوع على حاشية نفح الطيب ٢: ١٥٠) وقال ابو الفداء وغيره ان دين الصابئين هو دين السريان (١: ٨٦) وصفَّ الآمديُّ فرقةً من الصابئة في مصفّ المسلمين. وجعلهم بقيَّة كتَّاب العرب من

عبدة الاوثان فاي معنى يُريد ان يُعيّن حضرة الاب للفظة « صابئين » حينا يقول المجد ان الركوسية هم « قوم لهم دين بين النصارى والصابئين ». فانت ترى انهُ لا يحقّ لهُ ان يتمسَّك بمعنى دون ان يتمسَّك بمعنى آخر . واماً تخصيصهُ اياها بمعنى « المندائيّة » فهو محض تحكُّم غير مبني على اساس وطيد

٣ً لا نُسلّم كل التسليم بانهُ كان في الركوسيَّة اضاليل كاضاليل الصابئة المعروفين بالمندائيّة لاسباب تطّلع عليها في ما بعد

٤ً ان ترجيحهُ لكلمة « كسكريين » على كلمة « كتباريين » أو « كباريين » انوفة من الصابئة مُتبعاً في ذلك راي الافرنج لا نوافقهُ عليها ونعدُّهُ من جملة أوهامهم. بل الرواية الصحيحة في ذلك هي « كتباريون » او « قطباريون » على طريق التفخيم كما رواها ابن خلدون (راجع المشرق ٤ : ٤٠٤) وكتبار هذا هو عندهم احد وُلد ارفكشاد واسمهُ عندهم ايضاً قينان وهو غير قينان بن آنوش (١. الّا انَّ الكتاب الكريم لم يذكر جميع اولاد ارفكشاد فيحتمل ان يكون واحد منهم تسمَّى بهذا الاسم ولم تصرّح بهِ التوراة

٥ً ان الركوسيَّة لم تكن فرقةً من المرقيونيين لان هؤلاء لم يدخلوا بلاد العرب (٢ واماً الركوسيَّة فكانت معروفة عندهم واليك الدليل . قال في اللسان في مادَّة « ركس » انهُ قيل لعدي بن حاتم الطائي لمَّا اراد الاسلام : « انت من اهل دين يقال لهُ الركوسيَّة » . والحال اننا نعلم ان عديًا هذا بعد ان كان وثنيًا يعبد الاصنام

١) هذه الملاحظة اظنّها صوابًا م.ل

٢) لعلَّ حضرة الاب انستاس مبالغ في قولهِ هذا . لانَّنا نعلم ان اكثر الشيع المرتبطة بالادريين بعض الارتباط كالابيونيين والناصريين والكسائيين والمخالفين لبتولية العذراء (Antidicomarianites) والمغالين في عبادتها (Collyridiens) تكاثروا في بلاد العرب التي كان يحكم فيها الرومان كحوران والبلاد الواقعة ما وراء الاردن وبحيرة لوط الى بحر القلزم . امَّا المرقيونيون فان لنا شاهدًا على وجودهم في تلك البلاد وهي الكتابة التي اثبتها وادنغتون في مجموعهِ (تحت العدد ٢٥٥٨) حيث جاء ذكر جامع للمرقيونيين في دير عليّ سنة ٣١٨ للمسيح . ثم ان النصوص التي اوردناها في مقالتنا تبين ان العرب كانوا يعرفون المرقيونيين م. ل

تنصَّر ثم ادرك الاسلام فاسلم هو واختهُ سفانة . ففي قوله ان عديًّا من اهل دين يُقال لهُ الركوسيَّة اشارة الى مذهبهِ في نصرانيتهِ (١ . والحال ان الطائيين كانوا قد انتحلوا اليعقوبيَّة فالركوسيَّة اذن فرقة منهـا . — وكما ان اهل كُرس وقعوا في اليعقوبيَّة (٢ بعد وفاة ثيودوريطوس بزمان اصبحت الركوسيَّة بمعنى اليعقوبيَّة الخاصَّة بكورس اي المونوثليَّـة . ومن هذه النتيجة نستلُّ امرًا تاريخيًّا مهمًّا وهو ان الذين نصَّروا الطائيين كانوا من نصارى كورُس الموحّدِي المشيئة . وان لم يُسلّم حضرة المنتقد الفاضل بمونوثليَّة اهل كورس بعد وفاة ثيودوريطس بل باستقامة دينهم فحينئذٍ نقول : ان الطائيين كانوا من المستقيمي الدين وهذا الامر غير بعيد . اولًا لان العرب كانت على ثلاث فرق من النصرانيَّة وهي : الكاثوليكيَّة (٣ واليعقوبيَّة والنسطوريَّة . ثانيًا لان كلمـة ركوسيَّة كانت معروفة في ايَّام عديّ بن حاتم اي في اوائل القرن السابع للميلاد . وحينئذٍ لم يكن بين وفاة ثيودوريطوس وانتشار اللفظة الّا بعض القرن ولعلَّ استقامة الدين كانت بعد سائدة في الكورسيَّة . فلا بدع من ان يكون الطائيُّون من القَيّمي الدين

الّا أنَّنا مع ذلك لا نقول باستقامة مذهب بني طيّ في الجاهليَّة بل بأوَدهِ واعوجاجهِ ومونوثوليتهِ . والذي يدفعنا الى هذا الراي انَّ امرأة حاتم الطائيّ في وقت الجاهليَّة كانت نصرانيَّة ومع ذلك فقد طلَّقت زوجها على الطريقة المعروفة عند الجاهليَّة في ذلك العهد (راجع الاغاني ١٦ : ١٠٦) فلو كانت نصرانيَّة مستقيمـة الرأي لما فعلت ذلك . اللهمَّ الّا ان يُقـال ان نصارى العرب يومئذٍ لم يعرفوا ديانتهم الّا معرفة من ينتف العلم نتفًا بدون استقصاء . فتكون ماويَّة امرأة حاتم فعلت ما فعلت عن جهلٍ لا عن درايةٍ

---

١) لا نرى هذه النتيجة لازمة وكذلك لا تلزم الحجج الواردة بعدها حيث اراد حضرة الكاتب ان يبيّن ان الركوسية قوم من اليعاقبة ه . ل

٢) غاية ما نعلم عن يعاقبة قورس ان هذه المدينة كانت من كراسيهم ولكن ليس ذلك داعيًا كافيًا للقول بان اهل المدينة كلّها كانوا يعاقبة . بل الارجح ان الامر على خلاف ذلك ه . ل

٣) ممَّا يتَّفق عليهِ العلماء في يومنا ان نصارى العرب الّا القليل منهم كانوا يتمذهبون باحد مذهبي اليعاقبة او النساطرة . وليس لدينا شاهد على انَّ قبيلةً باجمعها كانت كاثوليكية (راجع ما كتبناهُ في هذا الصدد في كتابنا عن شاعر بني اميَّة ص ٢٦ الخ) حيث اتَّسعنا في هذا المبحث ه . ل

وان اصرَّ حضرة الاب الفاضل في رفض نسبة الركوسيَّة الى كُرُس البلاد الشهيرة فامكننا ان ننسبها الى واحدٍ من مشاهير موحّدي المثينة يعني الى كُرُس بطرك الاسكندريَّة وكان اسمهُ قد فشا في جنوبيّ بلاد الشام وشمال غربيّ بلاد العرب في عهد ظهور راية الاسلام فلا يبعد من ان تكون الركوسيَّة منسوبة الى لفظة « كُرس » (١ على كل حالٍ ويعني ان اصحاب هذا المذهب كانوا من موحّدي المثينة زائدين على ما تقدَّم وقوع القلب اللغويّ في الركوسيَّة وناكرين كل النكير كونهم من المرقيونيين

٦ ممَّا تقدَّم ترى ان قولنا الاول (الذي نعدل عنهُ اليوم بفضل ما كتبهُ حضرة الاب لامنس) كان يقرب من قولنا هذا الثاني نتمسَّك به الآن. واما انهُ كيف ساغ لبعض العرب ان يقولوا ان الركوسيَّة دين بين النصارى والصابئين فلعلَّ السبب هو لان بعض اليعاقبة وهم من موحدي الطبيعة يُشبهون المندائيَّة بعض الشبه في اصوامهم ومآكلهم وايضاً في بعض اعتقادهم بالمسيح اذ انهم يقولون ان جسد المسيح في ذاته كان غير فاسدٍ وغير متألم. والمندائيَّة تقول كذلك الَّا انها تزيد على ذلك ان المسيح من الارواح النجسة تعالى الله عن ذلك

(الخاتمة) هذا ما اردنا تبيانهُ بخصوص الركوسيَّة ولعلَّ المسألة زادت وضوحاً بفضل النصّ الذي اوردناهُ نقلاً عن لسان العرب (٢ والله الموفّق الى سبيل الصواب. واليهِ المرجع في الاول وفي المآب

---

١) هذا راي يصعب تأييدهُ بالبرهان. لانَّ ذلك يستلزم ان يثبت حضرة الكاتب. اولًا ان قورس هذا انشأ شيعة منفردة. ثانياً انهُ زاد على آراء ذوي المثينة الواحد ما اوجب نسبتها اليهِ. وثالثاً ان بدعة ذوي المثينة الواحدة شاعت بين العرب الى غير ذلك ممَّا ينقض هذا الرأي . ه.ل

٢) وهو ايضاً رأينا ويسرُّنا كون حضرة الكاتب الضليع انتهز فرصة انتقادنا لايراد هذا النصّ المهمّ ه.ل

مشكل كتابي

نظر للاب لويس شيخو اليسوعي

ورد علينا هذا الكتاب فاسرعنا الى نشرهِ بالحرف :

حضرة الاب الفاضل مدير المشرق الاغر

عجبت كثيراً من جوابكم على سؤال الفاضل اغوب فرحيان (المدرج في العدد ١٨ ص ٨٦٤ من مشرق هذه السنة) لمخالفتهِ الصواب ونسبتهِ الى مفسري الاناجيل ما هم براءٌ منهُ

فقد خطأتم جمعي بين الآية ٢١ و ٣١ من الفصل الثالث من انجيل مرقس كأن الكلام فيهما عن حادث واحد (كما ورد في كتابي رحلة الفيلسوف الروماني ص ٢٧٦) بقولكم ان « مفسري الاناجيل المقدسة يرتأون خلاف ذلك وهو ان الكلام على واقعتين مختلفتين زمناً فالاول يشمل ذويه والمراد بهم بعض معارفهِ واقربائهِ . . . اما الواقع الثاني فقد جرى بعد ذلك بمدة الخ » وذلك بالحقيقة محل الاستغراب فمن ابن اتيتم بهذا الرأي وكيف ساغ لكم ان تنسبوهُ الى جميع المفسرين فلدينا عدة تآليف من جلة المفسرين كفيلبون والمجري ودبهو وغيرهم ممن يشهد لهم بسداد الرأي ويعتمد على رأيهم وقد راجعنا اقوالهم فلم نرَ ولا واحداً منهم قد ذهب مذهبكم وفصل الحادث الواحد الى حادثين ولا اشاروا الى وجود راي كهذا بين المفسرين . فكان اولاكم اذن ان تحيلوا السائل على كتابي نفسه قائلين لهُ « طالع الصفحة نفسها ترَ سؤالك والجواب عليهِ » بدلاً من ان تأتوا بهذا المال المخالف لاقوال مشاهير المفسرين وقد نسبتموهُ غلطاً لجمهورهم

فالمرجو من حضرتكم ان تبادروا الى نشر جوابي هذا في اول عدد من مشرقكم الزاهر ولكم الفضل

في حريصا ٣ ت ١ سنة ١٩٠٣

الحقير
جرمانوس معقد
مطران اللاذقية

(نقول) اننا نشكر سيادة المطران الجليل راقم هذه الاسطر اذ فسح لنا المجال لنخوض في مسألة كتابية هي من الشأن بمكان وذلك ان ضيق المجلة احوجنا على ان نكتفي بخلاصتها فاجبنا لجناب السائل اغوب افندي فرحيان بوجيز الكلام على مألوف عادتنا في باب الاسئلة والاجوبة . وعلى كل حال نؤكد لسيادتهِ اننا لم نكتب ما كتبنا حباً بالانتقاد بل مراعاةً لما رأيناهُ اقرب الى الصواب كما سيلوح

وزيادةً في الايضاح نعرض هنا للقرَّاء نقطة المشكل ليكونوا على بينة من حلّهِ

جاء في الفصل الثالث من انجيل القديس مرقس في الآيتين ٢٠-٢١ منهُ انَّ الرب بعد دعوة الرسل الاثني عشر اتى وأياهم الى بيت فاجتمع «عليهِ جمعٌ حتى لم يقدروا ولا ان يأكلوا خبزًا. وسمع ذووهُ فخرجوا ليمسكوهُ لأنهم قالوا انهُ شارد العقل». ويلي هاتين الآيتين ذكر ما دار من الحديث بين السيد المسيح والكتبة الذين بكَّتوهُ وادَّعوا انهُ يطرد الشياطين بقوَّة بعل زبوب رئيس الشياطين. فيردُّ المسيح على مزاعمهم الباطلة ويضرب لهم امثالًا بقوله انَّ الخطايا كلَّها تُغفر الَّا التجديف على الروح القدس. وفي نهاية الحديث بين الربّ والفريسيين يروي مرقس البشير مجيء العذراء مريم واخوتهِ (والمراد بهم انسباؤهُ اولاد حلفا اخي القديس يوسف وابي المسيح بالذخيرة او اولاد خالة العذراء) قائلًا في الآية ٣١: «حينئذٍ جاءت امُّهُ واخوتهُ ووقفوا خارجًا وارسلوا اليهِ يدعونهُ... فقال الربُّ: من امي واخوتي... من يعمل مشيئة الله ذاك اخي واختي وامي»

فمن هم رعاك الله هؤلاء الذين ذكرهم الانجيليّ مرقس في الآية ٢١ من فصلهِ الثالث ودعاهم باسم «ذويهِ» وقال عنهم انهم خرجوا ليمسكوا يسوع مدَّعين انهُ شارد العقل أهم اولئك الذين ورد ذكرهم في الآية ٣١ فدعاهم «امهُ واخوتهُ» وقال عنهم انهم دعوهُ لينظروهُ

قد اجاب بعض المحدثين من الكاثوليك ممَّن لا يُعدُّون من ائمة المفسرين كفيليون (Filion) وفوار (Fouard) وشڠ (Schegg) انَّ المراد «بذويهِ» في الآية ٢١ هو نفس المراد «بامهِ واخوتهِ» في الآية ٣١ ولمَّح الى ذلك الحجريّ في شرح الفصل ١٢ لمتّى وهؤلاء قد اتَّبعوا في تفسيرهم الاب اليسوعي ملدونات (Maldonat) الشهير الذي زعم ان كل ما اتى بين آيتي مرقس من العدد ٢٢ الى ٣٠ انما هو كاستطراد وخبر اعتراضي. وهو مع ذلك يقرّ بان هذا الحل من المسائل العويصة التي يصعب حلُّها

ولمَّا كان هؤلاء من الكاثوليك المستقيمي الاراء وكلُّهم يعرفون سموَّ مقام العذراء مريم وبرارتها واعتبارها لابنها الالهيّ شعروا انَّ في الجمع بين الآيتين ما يخلُّ بشرف البتول فكيف اعزَّك الله يمكن القول بلا كفر انَّ ام الله الكليَّة القداسة خرجت

لتمسك ابنها مع الذين حاولوا ذلك او كيف استطاعت ان تعدّ ابنها الحكمة بالذات كشارد العقل ؟

فبحث هؤلاء المفسرون على شرح يتكوّن به هذا المعضل. فقال بعضهم انّ ذويه الذين خرجوا ليمسكوهُ ونسبوا اليه شرود العقل انّما فعلوا ذلك شفقةً بالسيد المسيح ورغبةً في نجاته من اعدائه. وهو قولٌ لا يجوز في السيّدة البتول فحاشاها ان تتظاهر بالمراء لخلاص ابنها. وقال آخرون والى قولهم يستند في الغالب اصحاب هذا الرأي ان العذراء لذكرها المجد خرجت مع اقرباء المسيح وهي لم تعرف غايتهم. قال سيادة المطران الجليل جرمانوس معقّد الذي اتّبع هؤلاء الشارحين في توحيدهم بين الآيتين ووافقهم في حلّ المشكل على هذه الطريقة (ص ٢٧٧):

« أمّا امه فحاشا لها ان تكون قد شاركتهم (اي ذويه) في شيء من اوهامهم ونيّاتهم الموماليها وحاشا ومعاذ وجه الله ان تكون قد عرفتها ووافقتهم عليها. فمن قال بذلك فهو مجدّف. فقد كتموا عنها ما ينوون وعاذوا جاء ان تجيء معهم لتتمكّنوا بواسطتها من مشاهدته ومخاطبته وهو محفوف بالجموع الغفيرة لعلمهم بما لها عنده من علوّ المنزلة. فخرجت من بيتها وخلوتها وجاءت معهم مسرورةً بان تشاهد ابنها الحبيب ولا بدع ان يكونوا قد اخبروها بانهُ محاط باسباب الضنك فهرعت معهم »

اجل انّ هذا الشرح يزكّي العذراء مريم من عمل فظيع كعمل هؤلاء الاغبياء الذين خرجوا ليمسكوهُ الّا انهُ لا يخلو من بعض الخلل بشرف امّ الله التي نُشيد بذكرها وندعوها بكرسيّ الحكمة وبالبتول الحكيمة. فكيف تاشدتك الله خدعها هؤلاء فاتخذوها كواسطة لادراك نيّاتهم القبيحة. أيليق بتلك البتول العجيبة ان تقع في اشراكهم وهي لا تعلم؟ وهذا ما أثّر في جناب اغوب افندي فرحيان الذي كتب لنا كتاباً مطوّلاً في هذا الصدد لم يمكنّا نشرهُ لطوله ومن جملة ما كتب قولهُ:

« وهَبْ انّ ام المسيح الطاهرة لم تشاركهم بقصدهم ونواياهم بيد انها رافقتهم « ليتمكّنوا من مشاهدته » وعليه لا تقدر ان تقول بانها لم تُستعمل ولو عن غير معرفة كواسطة لترويج مقاصد سيئة ضد ابنها الحبيب فقل هذا يا ترى يليق بمثل امّ الله الطاهرة » اه بالحرف

ولكن ماذا حمل الاب مالدونات والمحدثين الذين تبعوهُ على ان يوحّدوا بين آيتي مرقس فيقولوا انّ « ذويه » هم « امهُ واخوتهُ » فهل لقولهم سندٌ في الانجيل المقدّس او في تقليد المفسّرين

١ ليس في الانجيل ما يضطرنا الى القول بانَّ المراد بذوي يسوع هم امهُ واخوتهُ

سواء اعتبرنا فصل مرقس منفردًا او عارضناهُ باقوال غيره من الانجيليين لا نجد موجبا للقول بانَّ اخوة يسوع ولاسيَّما انهُ كانوا في جملة ذويه الذين خرجوا ليمسكوهُ

١ في فصل مرقس الذي نحن في صدده عدَّة امور لا يظهر بينها علاقة لا من حيث الزمان ولا من حيث المكان. فان هذا البشير يذكر اوَّلًا دخول المسيح الى المجمع وابراءهُ للرجل اليابس اليد (عدد ١–٥) ثم مؤامرة الفريسيين والهيرودسيين على يسوع (٦) ثمَّ انصراف يسوع الى البحر ومعجزاتهُ وطردهُ للارواح النجسة (٧–١٢) ثم صعودهُ الى الجبل ودعوتهُ للرسل الاثني عشر (١٣–١٩) ثم مجيئهم الى البيت وازدحام الشعب عليه (٢٠) ثم خروج ذويه ليمسكوهُ (٢١) ثم نزول الكتبة من اورشليم وتعييرهم للمسيح بكونه يخرج الشياطين ببعل زبوب (٢٢) امَّا يسوع فيبرّئ نفسهُ من تهمهم (٢٣–٣٠) ويليه قولهُ: «وحينئذٍ جاءت امهُ واخوتهُ... وارسلوا اليه يدعونهُ. أفلا يظهر لاوَّل وهلةٍ انَّ هذه الامور المتعددة جرت في امكنة ودفعات مختلفة

لا بل يظهر ذلك من نفس المقابلة بين الآية ٢١ والآية ٣١ = ١ً لانَّ في الآية ٢١ الكلام عن «ذويه» وهي كلمة تُطلق ليس فقط على الاقارب لكن على كل من لهُ علاقةٌ ما مع الآخر. كقولك «ذوو ارسطو» اي تلامذتهُ واشياعهُ «وذوو الملك» اي رعيَّتهُ «وذوو البلد» اي اهلهُ. وكذلك «ذوو يسوع» يمكنها ان تُطلق على اهل وطنه وعلى اقاربه الابعدين كما انهُ يمكن اطلاقها على انسبائهِ الاقربين اذا دلَّ على ذلك دليل. وما يقال عن «ذويه» على لفظها العربيّ هو اصرح وأبين في اصلها اليوناني οἱ παρ' αὐτοῦ. امَّا في الآية ٣١ وما يليها فانَّ الكلام عن اشخاص معيَّنين وهم «امهُ واخوتهُ» اعني انسباءهُ الاقربين = ٢ً ان ما يريدهُ ذووهُ في العدد ٢١ غير ما تريد امُّهُ واخوتهُ في العدد ٣١ فانَّ اولئك يريدون امساكهُ وهؤلاء لا يطلبون الَّا النظر اليه = ٣ً لو كان ذووهُ هم امُّهُ واخوتهُ والكلام عودًا على بدء لظهر في الحروف العاطفة. ولا ترى شيئًا من ذلك لانَّ اغلب النسخ المخطوطة باليونانيَّة واللاتينيَّة تباشر خبر مجيء امه واخوته بحرف καί. وهو الحرف الذي يستعملهُ الانجيليُّون

عند انتقالهم من خبر الى آخر. ولذلك قد عُرّب هـذا الحرف « بحينئذٍ » دلالةً على انهُ خبر جديد ليس لهُ علاقة مع ما قبلهُ = ٤ انَّ ما ورد من الكلام بين الآيتين ٢١ و ٣١ اعني مخاصمة الفريسيين للمسيح وتفنيد المسيح لاقوالهم دليـل كافٍ على انَّ خروج ذوي المسيح لامساكهِ غير مجيء امهِ واخوتهِ لمشاهدتهِ ولذلك فصل مرقس بينهما

٢ ولكنَّ الامر يزيد وضوحاً وجلاء اذا قابلنا رواية مرقس برواية الانجيليَّين متَّى ولوقا. فانَّ مرقس كما لا يخفى اقصر من الانجيليَّ متى ولوقا وان زاد عليهما بعض تفاصيل لم يثبتاها. فتراهُ يحصر في فصل واحد ما ورد عندهما متفرّقاً في فصول عديدة او يجتزئ باقسام من الفصل الواحد ويدع غيرها جرت في اثنائها. ولبيان الامر دونك جدولاً فيهِ سياق الكلام كما ورد في الفصل الثالث من مرقس ومقابلتهُ بانجيلي متى ولوقا وفصولهما المختلفة فيتَّضح لك ما نقولهُ :

	مرقس	متَّى	لوقا
دخول يسوع الى المجمع وشفاء اليابس اليد	٥-١:٣	١٣-٩:١٢	١٠-٦:٦
مؤامرة اعداء يسوع عليهِ	٦:٣	١٤:١٢	١١:٦
مجيء يسوع الى بحر الجليل ومعجزاتهُ	١٢-٧:٣	١٦-١٥:١٢	١٩-١٧:٦
دعوة الرسل	١٩-١٣:٣	٤-١:١٠	١٦-٨:٦
ازدحام الشعوب لاستماع يسوع	٢٠:٣	٢٥-٢٤:٤	١٧:٦
خروج ذويهِ ليمسكوهُ	٢١:٣	(لم يُذكر)	(لم يُذكر)
تفنيد يسوع لقول كتبة اورشليم انهُ يخرج الشياطين ببعل زبوب	٢٧-٢٢:٣	٣٠-٢٤:١٢	٢٣-١٥:١١
الخطيئة ضد الروح القدس	٣٠-٢٨:٣	٣٢-٣١:١٢	١٠:١٢
مجيء ام يسوع واخوتهُ لزيارتهِ	٣٥-٣١:٣	٥٠-٤٦:١٢	٢١-١٩:٨

فهذا الجدول يبيّن انَّ فصل مرقس يوافق ثلاثة فصول لمتّى واربعة فصول للوقا ويوجد في كل هذه الفصول امور جمَّة لم يذكرها مرقس او رواها على غير ترتيب. فكيف يمكن ان يقـال انَّ ما رواهُ مرقس في وسط فصلهِ الثالث هو نفس ما رواهُ في آخر هذا الفصل ونحن نراهُ يجمع اموراً متباينة زمناً تُرى متفرّقة في انجيلي لوقا ومتى

واذا مزجنا الاناجيل الاربعة فسردناها سرداً متواصلاً بحيث يخرج منهـا رواية واحدة لسيرة المسيح اضطرَّنا الامر ان نفصل بين آيتي مرقس ٢١ و ٣١ فصـلاً اعظم

لندخل بينهما عدَّة حوادث وردت في اناجيل متى ولوقا ويوحنا ضرب مرقس عن ذكرها بل تضطرنا المواقفة بين الاربعة الاناجيل الى ان نقدّم ونؤخر ونقطع ونجمع حتى يزيد الفصل بين تينك الآيتين زيادة مهمَّة

وان قال قائل انَّ القديس مرقس يسرد الروايات سردًا تاريخيًا فهو احقّ من غيره بان يُتَّبع في سياق كلامه · اجبنا مع القديس ايرونيموس انَّ في مرقس كما في غيره اموراً كثيرة تصرَّف في زمن وقوعها فقدَّم وأخَّر على مقتضى الغاية التي توخاها

٢ ليس سندٌ في تفاسير الآباء او المفسّرين للتوحيد بين آيتي مرقس ٢١ و ٣١

هلمَّ بنا نبحث الآن عن اقوال الآباء المفسّرين لنقف على رأيهم في هاتين الآيتين والتوحيد بينهما فنقول: أننا اذا استثنينا بعض الحدثين الذين ذكرناهم والذين ارتأوا رأي ملدونات فجعلوا علاقة بين « ذوي يسوع » الذين خرجوا ليمسكوهُ وبين « امهِ واخوتهِ » نرى اغلب المفسرين يفرقون بين الواقعين. وهؤلاء المفسرون على ثلاثة اقسام

١ القسم الاوَّل منهم بمجرَّد سكوتهِ يقرّ بوجود واقعين مختلفين فانَّ هذه المسئلة لم تخطر على بالهم ولذلك تراهم يفسّرون الآيتين دون ان يذكروا بينهما علاقةً · وسكوتهم هذا دليل على انَّهم لم يعتبروا آية مرقس في العدد ٣١ كتتمَّة للآية ٢١ · وهؤلاء كثيرون منهم القديس بيدا في القرن السابع في شرحهِ على مرقس ومنهم مينوكيوس وكارياد وغيرهم ايضًا قبل ملدونات وبعدهُ · وترى فيليون نفسهُ في كتابهِ عن الاناجيل المقدَّسة المطبوع سنة ١٨٩٦ يشرح آيتي مرقس في الصفحة ١١٣ والصفحة ١١٥ دون ان يذكر العلاقة بينهما · وكذا فعل كرامبون في التوفيق بين الاناجيل وجَنْسِن الشهير فلو عرف هؤلاء علاقة بين الآيتين لما سكتوا عنها

٢ والقسم الثاني من المفسرين يفصل بين الواقعين صريحًا الّا انَّهم يجعلون بينهما وقتًا قريبًا فمنهم القديس توما شمس المدارس في كتابهِ المعروف بالسلسلة الذهبيَّة (ج ١٦ ص ٥٢٩) · ومنهم ثاوفيلاكتوس وهو يقول (مجموع الآباء اليونان لمين ج ١٢٣ ص ٥٢٧) انَّ امهُ واخوتهُ لمَّا سمعوا بانَّ ذويهِ خرجوا ليمسكوهُ خافوا عليهِ واتوا طالبين ان ينظروهُ · فبمقابلتهِ بين فعل ذويهِ وفعل امهِ بيّن صريحًا انهُ يميّز بين الامرين مع كونهِ جعلهما في وقت واحد · وهذا الراي قد غلب على كثيرين من المفسرين الحدثين الذين

عُرفوا بحصافة العقل وسداد الراي ويُركن اليهم في شرح الكتاب نخصُّ منهم بالذكر جماعة الآباء اليسوعيين الالمانيين الذين باشروا بنشر اعظم تفسير ظهر في زماننا للكتاب الكريم وقد نجز من عملهم ٢٨ مجلّدًا فأنّهم في شرح الفصل الذي نحن بصدده يردّون على ملدونات والحدثين الذين تقفّوا آثاره في هذا الامر فيبيّنون بوجه صريح عند شرحهم لفصل مرقس الثالث انّ ذوي المسيح مختلفون عن امّهِ واخوتهِ ويرتأون مع ذلك انّ زمن الواقعين كان قريبًا. وهو الراي الذي دافع عنهُ إدِرْنَسَيم الالماني في مباحثهِ الكتابيّة ويجنح اليهِ كثيرون ممّن قابلوا بين الاناجيل الاربعة فمزجوا رواياتها كما ترى في المعجم الكتابيّ الذي ينشرهُ العلّامة فيكورو. وفيليون نفسهُ قد سرد هذه الروايات وجعل لها قائمة في مقدّمة شروحهِ للاناجيل (ص ١٢٥) فتراهُ يجعل بين آية مرقس ٢١ وآيتهِ ٣١ امورًا تفصل بينها فدلَّ بذلك على انهُ يفرق بينها زمنًا ويعتبرهما كواقعين مختلفين فضلًا عن أنهُ ذكر الآيتين بحرف مختلف دلالةً على شكّهِ فيهما

٣ والقسم الثالث من المفسرين ونظنُّ قولهم ارجح وعددهم كثير وهم ليس فقط يفرقون بين آيتي مرقس ويعدُّونهما كواقعين مختلفين لكن يجعلون هذين الواقعين في ازمنة متباينة. وممَّن ذهب الى هذا الرأي طاتيانس تلميذ القديس يوستينوس من كتبة القرن الثاني في كتابهِ الشهير الذي اكتُشفت حديثًا ترجمتهُ العربيَّة فنشرها بالطبع السيّد تشياسكا في ام المدائن سنة ١٨٨٨. فانهُ ذكر ذوي يسوع الذين خرجوا ليمسكوهُ في الاصحاح السابع (ص ٢٩) امَّا مجيء أمهِ واخوته فذكرهُ في الاصحاح السادس عشر الصفحة ٦٢ وذكر بين الواقعين امورًا تستغرق نحو سنة من حياة المسيح. وهذا الرأي لكثيرين من مشاهير المفسرين الحدثين نخصُّ منهم بالذكر امام المفسرين في عصرنا الاب بتريزي اليسوعي فانهُ في كتابهِ الشهير عن الاناجيل (ص ٧٢) لا يرضى بتوحيد آيتي مرقس البتَّة بل يفرق بين الواقع الاوَّل الثاني فيجعل خروج ذوي يسوع عليهِ في اوَّل حياتهِ الرسوليَّة وقدوم امهِ واخوتهِ المذكور في الآية ٣١ قرب ختام حياتهِ (١). وقد وافقهُ حضرة الاب يوحنَّا بلو في كتابهِ «القلادة الدرّيَّة» فتجد آية

١) وللاب بتريزي رأيٌ لا يخلو من بعض الرجحان وهو انَّ امَّ يسوع واخوتهُ قدموا عليهِ مرَّتين المرَّة الاولى هي المذكورة في لوقا ٨: ١٩ والثانية ذكرها متى ١٢: ٤٦

مرقس عن ذويه في الصفحة ٦٣ من هذا الكتاب. امَّا روايتهُ في مجيء امّهِ فواردة في الصفحة ١٥٣.

ومن مشاهير الذين يفرقون بين الحادثين الاب كرنيلي من عظام المفسرين الذين احرزوا السبق في شرح الكتاب المقدَّس في عهدنا. وهو في كتابهِ النفيس المعنون بالمقدّمة لدرس الكتاب المقدَّس في الجزء الثالث الصفحة ٢٨٩ و ٢٩٣ يجعل بين الحادثين سنةً تامّة. وكذلك فرق بينها بالزمن الطويل الاب دي ليني (de Ligny) في كتابهِ الشهير عن حياة السيد المسيح في الفصلين ٢٠ و ٢١. وقد وجدنا كثيرين كالخوري لاباتو (Labatut) في التوفيق بين الاناجيلين والخوري باكويز (Bacuez) في الجزء الثالث من الكتاب الذي الَّفهُ مع الخوري ڤيكوردو عن مقدّمة الكتب المقدّسة يفصلون بين مجيء ذويهِ ليمسكوهُ وبين زيارة امهِ بكلّ هذه الوقائع الآتية: شفاء الاعمى والاخرس (متى ١٢: ٢٢ ومرقس ٣: ٢٢ ولوقا ١١: ١٤) ثم كلام الرب عن الخطيئة ضدّ الروح القدس (متى ١٢: ٣٠ الخ) ثم آية يونان النبي (متى ١٢: ٣٩) ثم مثل نينوى وملكة سابا (متى ١٢: ٤٢ ولوقا ١١: ٣١) ثم طرد الروح النجس (متى ١٢: ٤٣) ثم تطويب المرأة للبطن الذي حملهُ (لوقا ١١: ٢٧) ثم تزول المسيح عند سمعان الفرّيسي (لوقا ٧: ٣٥). أفلا ترى اكرمك الله انَّ هؤلاء يعتبرون ذوي المسيح في مرقس (٣: ٢١) غير امّهِ واخوتهِ (٣: ٣١) ويحسبون الواقعين مختلفين زمناً ولولا ذلك كيف يسوغ لهم ان يفصلوا بين الآيتين كل هذا الفصل

فيلوح ممَّا سبق انَّنا لم نبالغ في القول لمَّا ارتأينا ان المفسرين (ولم نقل جميع المفسرين) يفصلون بين الحادثين وكان بوسعنا ان نزيد على الشهادات التي اوردناها الَّا انَّنا نكتفي بما ذكرنا فانَّنا نظنُّ ان كلَّ من يمعن النظر في اقوالنا يستصوب رأينا ويفضّلهُ على الرأي الآخر الذي ذهب اليهِ ملدونات ومن تبعهُ من المحدثين دون سند وطيد لا في الانجيل ولا في تقليد الشارحين الأثبات فضلًا عن انَّ هـذا الفصل بين امرين متباينين يبرّئ العذراء مريم تبرئة تامّة ويستأصل المشكل من اصلهِ

وان اعترض علينا احدٌ في الختام بقولهِ كيف تقول « انَّ امهُ واخوتهُ لم يخرجوا

ومرقس ٣: ٢١) وهو يجهل هذه الزيارة الثانية زمناً طويلًا بعد الزيارة الاولى. وقد تبعهُ في ذلك الاب يوحنَّا بلو

عليهِ ليمسكوهُ » أفلم يَرْوِ القديس يوحنّا « انّ اخوتهُ لم يكونوا يؤمنون بهِ » فلا يبعد اذن القول انّ اخوتهُ كانوا ايضاً في جملة الذين خرجوا ليمسكوه وانّ ذويهِ هم اخوتهُ

لنا على هذا الاعتراض عدَّة اجوبة : اوَّلًا انهُ ممكن ان يكون اخوتهُ لم يؤمنوا بهِ دون ان يخرجوا لامساكهِ مع ذويهِ . ثانياً يحتمل ان يكون اخوتهُ آمنوا بعد شكوكهم فلم يكونوا في جملة الخارجين عليهِ والمدَّعين بشرود عقلهِ . ثالثاً وان سلَّمنا بانَّ اخوتهُ كانوا في جملة ذويهِ الَّا انَّ هؤلاء الاخوة كانوا كثيرين ونريد بالاخوة كما سبق ابناء العمّ اعني اولاد كلاوفا اخي يوسف واولاد اخت القديسة حنَّة امّ العذراء الطاهرة وبني اخوة القديس يواكيم والدها . ونعم ما قال سيادة المطران جرمانوس في هذا الصدد (ص ٢٧٧) : « ولا شكَّ انَّ هؤلاء ليسوا اخوتهُ اجمعين فانَّ يعقوب ويهوذا وهما منهم لم يكونوا معهم (اي مع ذويهِ الذين خرجوا ليمسكوهُ) لأنَّهما كانا قد آمنا بهِ وانخرطا في سلك تلاميذه » والسلام

الخطّ العربي

نخبة من كتاب صُبح الاعشى في كتابة الانشاء للقلقشندي

عني بنشرها الاب ل . شيخو اليسوعي (تابع لما سبق في المشرق ٥ : ٧٤٦)

الفصل الرابع عشر

في معرفة ما يقع بهِ ابتداء الحروف وانتهاؤها من نقطةٍ او شظيَّةٍ او غير ذلك

امَّا الابتداء فعلى ثلاثة اضرب :

(الضرب الاوَّل) ما يُبتدأ بنقطة وهو تسع صور : صورة الالف وصورة الباء واختيها (اي التاء والثاء) وصورة الدال واختها (الذال) وصورة الراء واختها (الزاي) وصورة السين واختها (الشين) وصورة اللام وصورة النون وصورة العين واختها (الغين) وصورة الهاء . وقد جمعها الشَّرْمَرّي في ارجوزته في اوائل كلمات بيت واحد . وهو قولهُ :

اذا بدتْ دَعدُ رقا سناها   لعاشق ناح على هواها

على ان الشيخ شرف الدين بن عبد السلام قد وهم فعدَّ منها الفاء وليس كذلك بل هي مما يُبتدأ بجلفة على ما سيأتي ذكرهُ

(الضرب الثاني) ما يُبتدأ بشظيَّة وهو صور خمسة احرف: الحاء (او الخاء) والطاء والياء والصاد والكاف وقد جمعها السُرَّمَرِّي في قولهِ: « خطٌّ يصكُّ ». وجعل ابن عبد السلام الخمسة العين (او الغين) والطاء والحاء (او الخاء) والكاف والصاد وجمعها في قولهُ: « غط خصَّك »

(الضرب الثالث) ما يبتدأ بجلفة وهو صور اربعة احرف: القاف والميم والواو والفاء وقد جمعها السرمري في قولهُ: « قم وفِ »

واماَّ الاختتام فعلى ثلاثة اضرب ايضاً:

(الضرب الاوَّل) ما يُختتم بقطة القلم وهو صور ستة احرف: الطاء والفاء والياء واللام والدال والكاف. وجمعها ابن عبد السلام في قولهُ: « دبَّ طفلُكَ » ولا يخفى ان اخواتها في معناها

(الضرب الثاني) يُختتم بشظيَّة وهو صورة واحدة وهي الالف

(الضرب الثالث) ما يُرسل في ختمهِ ارسالًا وهو صورة احد عشر حرفاً وهي: السين والراء والحاء والميم والنون والياء والعين والواو والقاف والصاد والهاء يجمعها قولك: « صرحٌ منيعٌ وقصهُ »

الفصل الخامس عشر

في مقدَّمات تتعلَّق باوضاع الخطّ وقوانين الكتابة

الجملة الاولى

في كيفية امساك القلم عند الكتابة ووضعه على الورق

قال الوزير ابو عليّ بن مقلة رحمهُ الله: يجب ان تكون اطراف الاصابع الثلاث الوسطى والسبَّابة والابهام على القلم والى ذلك يشير ابو تمَّام الطائي بقولهُ: « وسددت ثلاث نواحيهِ الثلاث الانامل ». اماَّ قول القائل في وصف القلم ايضاً:

وذي عفافٍ راكعٍ ساجدٍ   اخو صلاح دمعهُ جاري

ملازمُ الخمس لاوقاتها مجتهد في طاعة الباري

يريد بالخمس الاصابع الخمس فانهُ على سبيل المجاز من باب مجاز المجاورة. قال الشيخ عماد الدين ابن العفيف تكون الاصابع مبسوطة غير مقبوضة لانَّ بسط الاصابع يتمكَّن الكاتب معهُ من ادارة القلم ولا يتَّكئ على القلم الاتكاء الشديد المُضعف لهُ ولا يمسكهُ الإمساك الضعيف فيضعف اقتدارهُ في الخطّ لكن يجعل اعتمادهُ في ذلك معتدلًا. وقال حيُّون: اذا اراد الكاتب ان يكتب فانهُ يأخذ القلم فيتَّكئ على الخنصر ويعتمد بسائر اصابعهِ على القلم ويعتمد بالوسطى على البِنْصر ويرفع السبَّابة على القلم ويعمل الإبهام في دورانهِ وتحريكهِ. قال ابن مقلة: ويكون امساك القلم قرين الفتحة بمقدار عرض شعرتين او ثلاث ويكون اطراف الاصابع متساوية حول القلم لا يفضل احداهنَّ عن الاخرى. قال صاحب الحلية: وتكون الاصابع على القلم منبسطة غير منقبضة ليتمكَّن من ادارة القلم ولا يدار حالة الاستمداد. قال ابن العفيف: وعلى حسب تمكن الكاتب من ادارة قلمهِ وسرعة يدهِ في الدوران يكون صفاء جوهر حروفهِ

الجملة الثانية

في كيفية الاستمداد ووضع القلم على الدرج

امَّا الاستمداد فهو اصلٌ عظيم من اصول الكتابة. وقد قال المقرّ العلائيّ بن فضل الله: من لم يُحسن الاستمداد وبَرْي القلم فليس من الكتابة في شيء. قال الشيخ عماد الدين بن العفيف: واذا مدَّ الكاتب فليكن القلم بين اصابعهِ على صورة امساكهِ لهُ حين الكتابة ولا يديرهُ للاستمداد لانَّ احسن المذاهب فيهِ ان يكون في يد الكاتب على صورة وضعهِ في الكتاب. ويحرّك رأس القلم من باطن يدهِ الى خارجها فانهُ يمكن معهُ مقام القلم على نصبتهِ من الاصابع ومتى عدل عن هذا لحقتْهُ المشقَّة في ثقل نصبه الاصابع في كل مدَّة. (قال) وهذا من اكبر ما يحتاج اليهِ الكاتب لان هذا هو الذي عليهِ مدار جودة الخطّ. ثم قال: وقلَّما يدرك علم هذا الفصل الَّا العالم الحاذق بهندسة الخطّ مع ما يكون معهُ من الاناءة وحسن التأدية ومن كلام المقرّ العلائي بن فضل الله: ينبغي ان لا يكثر الاستمداد بل يمدّ مدًّا معتدلًا ولا يحرّك الليقة من مكانها ولا يعتر بالقلم فان ذلك عيبٌ عند الكتَّاب. ولا يرد القلم الى الليقة حتى يستوعب ما فيهِ من المداد ولا يُدخل منهُ الدواة كثيرًا بل الى حدّ شقهِ ولا يجاوز ذلك الى آخر الفتحة

ليأمن تسويد انامله وليس ذلك من خصال الكتّاب

واما وضع القلم على الدرج فقال ابو علي بن مقلة: ويجب ان يكون اوّل ما يوضع على الدرج موضع القطّة منكبًا

الفصل السادس عشر

في ذكر قوانين يعتمدها الكاتب في الخطّ وفيه ست جمل

الجملة الاولى

في كيفية حركة اليد بالقلم في الكتابة وما يجب ان يُراعى في كل حرف

قال السُّرَّمَرّي وابن عبد السلام وغيرهما: كل خطّ منتصب ينبغي ان يكون الاعتماد فيه من القلم على سِنَّيه معًا وكل خطّ من يمنة الى يُسرة ينبغي ان يُمال القلم فيه نحو اليسرة قليلًا وكل خط من يُسرة الى يمنة ينبغي ان يُمال راس القلم فيه الى اليمنة قليلًا. وكلّ شظيّة ينبغي ان تكون بالسنّ اليُمنى من القلم وكل نقطة ينبغي ان تكون بسنّي القلم. وكل تعقير كما في النون وتعريقة الصاد يجب ان تكون بالسنّ الايمن وكل ارسالة يجب ان تكون بسنّ القلم اليُمنى. وكل تعريج كما في عراقة الجيم والعين يجب ان يكون بسنّ القلم اليسرى. وكلّ ما أُخذ فيه من يمنة الى يسرة كاللام ونحوها ينبغي ان يُمال فيه راس القلم الى اليسرة قليلًا. وكل ما كان اخذ فيه من يسرة الى اليمنة كراس الجيم ينبغي ان يُمال راس القلم فيه الى اليمنة قليلًا. وكل خطّ منتصب فيجب ان يكون انتهاؤه ارسالة وطول كل سنّة من السين ونحوها مثل سدس الف خطّها وقيل مثل سُبعه. وكل شظيّة في اوّل او آخر مثل سُبع خطها

قال الشيخ عماد الدين بن العفيف: وللسنّ الايمن من القلم الالف واللام ورفعة الطاء والنون والباء والكاف اذا كانت قائمة مبتدأة واواخر التعريقات والمدّات وطبقة الصاد والضاد ومدّة السين والشين. وللايسر الجيم واختناقها والردّات وتدوير رؤوس الفاءات والقافات والهاءات والواوات والكافات المشقوقة. (قال) وكل ردّة اليسار الى اليمين تكون بصدر القلم. (قال) ويجب ان تكون المطّات الطويلة بسنّ القلم اليمنى مشظّأة ممالة فتكون المطّة من راس شظيّتها وان تكتب المدّات القصيرة بحرف القلم واذا ابتدأ بالمدة وجب ان يدار القلم على سنه مثل مطّة الطاء واذا وصلت المطة بحرف

مثالها كُتبت بوجه القلم مثل مطَّة الفاء المفردة (ثم قال): وهذا من اعظم اسرار الكتابة (لها بقيَّة)

المقتطف والبابويَّة

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعي

قد حيَّت الجامعة المصريَّة في احد اعدادها مجلَّة المقتطف ودَعتها باسم «شيخ المجلاَّت العربيَّة» أجل الَّا انَّ هذا الشيخ رُبَّما شرد عن صوابهِ فاحتاج الى من يقرع لهُ العصا كالحارث بن ظرب الذي وكل الى ابنتهِ ان تقرع امامهُ العصا ليرجع الى رشدهِ

وفي العدد الاخير الذي صدر في ايلول من السنة الجارية (ص ٧٤٧) فصلٌ عن البابويَّة ممضًى باسم ن·ب وجدنا فيهِ مثــل هذا الشرود فاتينا نقرع لهُ العصا ليصيب صاحبهُ في حكمهِ مرَّةً أُخرى

قال اناره الله في مُفتتح مقالتهِ: «كان النصارى في اوَّل نشأتهم كالاشتراكيين في هذا العصر لا رؤساء لهم» فلله درُّهُ مؤرخًا عارفًا باحوال النصارى ومدقّقًا في اخبارهم القديمة. فاين يا تُرى وجدتَ انَّ النصارى كانوا في اوَّل نشأتهم كالاشتراكيين لا رؤساء لهم؟ هل وقفتَ على ذلك في اسفــارنا المقدَّسة؟ او في تاريخ اهل الاعصار الاولى؟

فانَّ الاسفار المقدَّسة تُعلمنا انَّ المسيح لمَّا اراد انشاء جماعة دينيَّة لم يشأ على مثال كلّ المشترعين واصحاب الاديان ان يترك أُمَّتهُ دون رأس يتولَّى امرها ويحيد باصحابها عن تفرُّق الكلمة والاضاليل. أفلم تقرأ وانت نصرانيّ ما ورد في الانجيل الطاهر انَّ المسيح جعل سمعان تلميذهُ هامةَ للرسل وغيَّر اسمهُ فدعاهُ صفــاةَ وجعل على هذه الصفاة بيعتهُ ووعدهُ بان ابواب الجحيم لن تقوى عليها واعطاهُ مقاليد ملكوت السماوات فلهُ الحلّ والربط والامر والنهي ووكل اليهِ رعاية خرافهِ ونعاجهِ وتثبيت اخوتهِ. افكان يمكن المسيح ان يبيّن بنوع اوضح انَّهُ لا يريد ان تكون جماعتهُ بلا رأس؟

وكذلك تُعلمنا اخبار النصارى الاوَّلين في كتاب اعمال الرُسل انَّ بطرس ادرك غاية سيّدهِ فما صعد الرب الى السماء حتى اخذ يسوس المئة والعشرين في عليَّة صهيون

وتولّى أمر انتخاب متيأس بدلًا من يهوذا الاسخريوطي وقام اول خطيب يوم حلول الروح القدس بين التلاميذ وسبق الكل في المدافعة عن حوزتهم امام الجموع وامام رؤساء الكهنة. هو المتقدم في بشارة السامرة وفي انذار الوثنيين وتعميدهم. هو الذي يرأس اول مجامع الكنيسة في اورشليم ويحكم الحكم الفصل فيه. هو الذي يطلب قتلهُ هيرودس لعلمهِ بانهُ رأس الكنيسة والكنيسة كلها تستحرُّ بالصلاة لنجاته. اياهُ يزور بولس رسول الامم ليصادق على دعوته. هو الذي يبشر عواصم العالم الروماني الثلث امَّا بنفسهِ كما فعل في انطاكية ورومية وامَّا بتلميذه مرقس الذي ارسلهُ الى الاسكندرية فصارت من ثمَّ هذه الكراسي الثلثة كراسي بطريركية دون غيرها (راجع مقالات الاب تاميزيه في السنة الخامسة من المشرق عن اصول البطريركيات وحقوقها)

وان استفتينا الكتبة الذين ذكروا النصارى في القرون الاولى للميلاد وجدناهم كأنهم على اختلاف مذاهبهم يعتبرون النصرانية كجمعيَّة لها رأس يتقلَّد تدبيرها فلا يجري شيء في الكنيسة الَّا عن امرهِ وذلك في الشرق والغرب معًا دون ان يعترض احدٌ على هذا الرأس فيخلع طاعتهُ بدعوى انهُ لا سلطة لهُ عليهِ (راجع مقالات الاب راي عن سلطة البابوات في القرن الاول والثاني والثالث على كنائس الشرق في المشرق السنة الثالثة والرابعة)

لا بل نجد في قول المقتطف « بانَّ النصارى كانوا كالاشتراكيين » ما يردُّ زعمهُ. فانهُ جعل الاشتراكيين بلا رأس. والكلُّ يعلمون ان قوَّة الاشتراكيين تأتيهم من اجتماع كلمتهم ولا اجتماع لهذه الكلمة لولا زعماؤهم. وحيث الزعيم هناك الراس. فلا صحَّة اذن لقوله بان الاشتراكيين لا رأس لهم. قال الربُّ في الانجيل: « كلُّ مملكة تنقسم على نفسها تخرب. وان انقسم الشيطان على نفسهِ فكيف تثبت مملكتهُ ». والحقُّ يقال ان البدع نفسها والديانات الباطلة لا تقوم بلا رأس يشدُّ بأزرها

ثم قال كاتب المقتطف هداهُ الله: وكان النصارى « يجتمعون لعبادة الله وإمامهم اشدُّهم ورعًا واقدرهم على الوعظ والارشاد تركوا الرئاسة المدنيَّة للامم الذين يسودونهم ، قائلين لتخضع كلُّ نفس للسلاطين الخ »

افترى كيف هذا الكاتب ناقض نفسهُ؟ فبعد انكارهِ انهُ كان للنصارى رئيس ها هوذا يجعل لهم إمامًا. فمن هو بالله الإمام الَّا الرئيس الديني فكان اذن

للنصارى رؤساء يدبّرونهم ويرشدونهم لكنَّهُ اخطأ بقولهِ انَّ امامهم كان « اشدَّهم ورعاً واقدرهم على الوعظ » · لانَّ قداسة الحياة والبلاغة في الخطابة مستحبَّان في الرئيس الَّا ان الرئاسة لا تتوقَّف عليهما · ماذا يقول جنابهُ عن رجل يعصي سيّدهُ وينكر سلطانهُ بدعوى انَّهُ ليس رجلًا بارًّا فاضلًا او لكونهِ عيًّا عاجزًا عن الكلام ؟ وهل يا تُرى لا عِلكَ الَّا الافاضل والبلغاء ؟ او لم يقل موسى للربّ لمَّا ارسلهُ ليسوس شعبهُ : اني لا أُحسن التكلُّم

امَّا قولهُ « تركوا الرئاسة الدينيَّة للامم » فهو صحيح لانَّ النصارى كانوا يخضعون الملوك والقياصرة في امور دنياهم · لكنَّ ذلك لا يمنع كونهم يخضعون لله ولمن اختارهُ الله ليرشدهم في امور آخرتهم كما انَّهُ لا يمنع انَّ الملوك والشعوب يوقفون الاوقاف على رئيس الكنيسة فيكون هذا الرئيس كبقيَّة المتملكين لهُ الحقّ المدنيّ على اوقافهِ وعلى المملكة المعطاة لهُ شرعاً

ثم قال اصلحهُ الله « ثم لمَّا كثر عددهم (اي النصارى) وقوي شأنهم خصُّوا الرئاسة الدينيَّة باربعة من اساقفتهم سمّوهم بطاركة وهم بطاركة رومية والقسطنطينيَّة وانطاكية والاسكندريَّة وجعلوا لاسقف اورشليم رتبة بطريرك شرف »

في هذا القول عدَّة امور لا صحَّة لها · منها قول الكاتب « النصارى خصُّوا الرئاسة الدينيَّة باربعة » · ومن المعلوم انَّ الرئاسة الدينيَّة ليس اصلها من النصارى بل من المسيح كما سبق · وكذلك ليس بالصواب قولهُ انَّهم خصُّوها باربعة · لانَّ الكراسي الكبرى ذات السيادة انَّما كانت لثلاثة اساقفة لبطريرك رومية وهو نائب المسيح ثم للاسكندريَّة ولانطاكية لاكرام بطرس الهامة كما بيَّن ذلك المشرق (٥ : ٤٣٥—٤٣٨) امَّا كرسيّ القسطنطينيَّة فلم يكن من الكراسيّ الرسوليَّة وانَّما أُضيف اليها بعد ذلك بقرون متعدّدة راجع تاريخهُ في المشرق (٥ : ٥٩١—٥٩٦) وكذا قل عن كرسيّ اورشليم (المشرق ٥ : ٥٨٩—٥٩١)

ثم اردف الكاتب قائلًا : « وكان البطاركة اصلًا متساوين في الرتبة والمقام الَّا ان بطاركة رومية حاولوا من اوَّل الامر السيادة على غيرهم بدعوى انَّهم خلفاء بطرس الرسول · ولم يأتِ القرن الخامس للميلاد حتى كانوا فازوا بمطلبهم واعترف الامبراطور الرومانيّ بالاسقف انوسنتس الاوَّل رئيساً عامًّا للكنيسة »

هذا كلهُ مخالف للتاريخ فانَّ البطاركة لم يكونوا اصلاً متساوين في الرتبة والدليل على ذلك الشهادات المتعدّدة التي اوردها حضرة الاب راي في مقالاتهِ الثلاث عن رئاسة بطاركة رومية في القرن الاوَّل (المشرق ٣ : ٢) والثاني (المشرق ٣ : ٤٤٢) والثالث (المشرق ٤ : ٨٠٧) فما نقض احدٌ حتى الآن هذه الشهادات . فإذن وهمَ صاحبنا في قولهِ : « انَّ بطاركة رومية حاولوا السيادة » فانَّ المحاولة طلب الشيء بالاحتيال . وليس احتيال حيث الحقوق راهنة . ولم يحتج البابا انوسنتس الاوَّل للامبراطور الروماني ليعترف برئاستهِ على الكنيسة فانَّ الملوك والشعوب كانت اعترفت لهُ بهذه الرئاسة منذ القرون الاولى . لا بل نعرف انَّ القيصر الوثني اوريليانوس على ما ورد في تاريخ اوسابيوس قد اعترف بسلطة بابا رومية منذ القرن الثالث لمَّا حكم في انطاكية بين اسقفين متخاصمين فقال : انَّ الحقَّ للاسقف الخاضع لاسقف رومية . فبطل اذن مزعم كاتب المقتطف انَّ بطاركة رومية حاولوا السيادة . وليس دعواهم بكونهم خلفاء بطرس الرسول دعوى باطلة . ولو اراد حججاً على ذلك لاتيناه باقوال النساطرة واليعاقبة وغيرهم من المبتدعين الذين شُحنت كتبهم الطقسيَّة بالشهادات على رئاسة بطرس وخلفائهِ وهم مع ذلك قد انفصلوا عن الكنيسة منذ القرن الخامس (راجع مقالة حضرة الاب الفاضل القس بطرس عزيز عن الطائفة الكلدانيَّة والكنيسة الرومانيَّة في المشرق ٦ : ٤٩٣) . ثم لنا في اقوار المقتطف نفسهِ ما يفنّد زعمهُ فانهُ في بقيَّة مقالتهِ يدعو البابا « خلفاً لمار بطرس » (ص ٧٥٠) وانَّ الاحبار الرومانيين « اصبحوا حكماً عاماً تتقاضى اليهم الممالك وتجري على احكامهم » (ص ٧٤٧) وانَّ « البابويَّة مبنيَّة على ما للبابا من حقّ المداخلة في احوال بقيَّة الممالك واجراء المراقبة والتأديب »

ويلي قولهُ السابق نتفةٌ عن ترقّي السلطة البابويَّة ونفوذ الباباوات لا نحاجُّ كاتب المقتطف عنها الَّا في عبارات منها تُشعر بقلَّة احترام لاساقفة رومية . وممَّا لا يمكن السكوت عنهُ قولهُ (في الصفحة ٧٤٨) : « وبقي بابا رومية رئيساً عاماً للنصرانيَّة الى ان وقع الخلاف الشهير بين النصارى في مسألة وضع الايقونات في الكنائس فاتخذت كنيسة رومية والكنائس التابعة لها الوجهة المخالفة لقرار المجمع القسطنطيني الذي عُقد سنة ٧٥٤ والذي اتبعتهُ الكنائس الشرقيَّة »

فبالله عليك أيها الكاتب الضليع قُل لنا ايُّ خلافٍ وقع بين كنائس الشرق

وكنيسة رومية بخصوص الايقونات ومتى كان ذلك واين رأيت ان مجمعاً عُقد في هذا الشأن سنة ٧٥٤ في القسطنطينية (١. وغاية ما نعلم وما يعلمهُ حتى احداث مدارسنا انَّ المجمع الذي عُقد بخصوص الايقونات انَّما عُقد بامر البابا ادريان الاوَّل على عهد ايريني الملكة سنة ٧٨٧ ولم يكن فيهِ خلاف البتَّة بين كنائس الشرق وكنيسة رومية. بل اتَّفقت الكنائس كلها شرقاً وغرباً في صحَّة اكرام الايقونات. وهذا المجمع هو السابع من المجامع المسكونيَّة التي صادق عليها الباباوات والثاني من المجامع التي عُقدت في نيقية. فان كان لدى المقتطف تاريخ آخر اكتشفهُ فليتكرَّم علينا بهِ لنطَّلع على ما لم تروهِ تواريخنا الكنسيَّة بل جميع التواريخ المدنية

ولنا في بقيَّة مقالة الكاتب ملاحظات أُخرى لاسيَّما في ما كتبهُ عن سلطة البابا الزمنيَّة الَّا ان ذلك يؤدي بنا الى اطالة الكلام ويستدعي شروحاً ليست من هذا المقام. وفي ما سبق كفاية ليرى القرَّاء بايّ خفَّة يخوض المقتطف في المسائل الدينيَّة التي لا يعرف منها الَّا قشرتها نعساهُ ان ينتبه الى اوهامهِ بعد ان قرعنا لهُ العصا ولا يعود الى مثلها دفعة أُخرى. هدانا الله واياهُ الى كلّ صواب

يمين العلي

رواية تاريخية للاب س. ت اليسوعيّ

الفصل الثاني عشر

بارقة امل (تابع)

فتوجَّه سلوانس من ساعتهِ الى المعسكر قريباً من منزل الاسرى حيث كانوا يزدحمون كالغنم في الزريبة ثم اختلط ببعض الجند في حانوت هناك كانوا اجتمعوا فيهِ لمعاقرة الخمرة فسلَّم عليهم وسكب لهم قدحاً من خمر لبنان كان اتى بها معهُ لسفرهِ فرحَّبوا بهِ وجاذبوهُ اطراف الحديث

١) ما لم يُشِر الكاتب الى مجمع غير قانونيّ جمعهُ الملك قسطنطين الزبليّ لمحاربة الصور ورذلتهُ الكنيستان معاً

وكان سلوانس يمدح ثباتهم وظفرهم بالعدو وفتحهم لبيت المقدس فاسترسلوا معهُ بالكلام واخبروهُ بتفاصيل الوقائع . ومما استفاد منهم انَّ بعض الاسرى يُعرَضون في غدٍ للوحوش في ميدان قيسارية لكنَّ اكثرهم شيوخ لا يستطيعون ان يمشوا مع العسكر امَّا العدد الاوفر من الاسرى فانَّ طيطس يصونهم للعب بيروت حيث تجري ألعاب حافلة واعياد غاية في البهاء ·

فلمَّا سمع سلوانس هذا الكلام شعر بقلبه انهُ كاد ينفطر وانهُ لمن المحتمل ان يكون سيّده الشيخ في جملة هؤلاء العجزة الذين يُلقَون في غدٍ للضواري · لكنَّهُ تجلّد امام القوم ولم يبدِ من شواعرهِ شيئاً · ثمَّ ملأ الاقداح ثانيةً من خمرهِ اللبنانيَّة التي استطابها الجند · وبينا كانوا يرشفون الكؤوس تفرَّد بضابطٍ كان بينهم يعرف اليونانيَّة دون رفقتهِ فاستخبرهُ عن وطنهِ واهلهِ حتى أنس به فسألهُ في آخر الامر : وهل تعرف الاسرى الذين يُقتَلون في غدٍ

قال : لا اعرفهم · ألَا انَّ واحداً منهم يُدعى صموئيل اصلهُ من بيروت كان وعدني بمبلغ عظيم من المال اذا شئتُ ان اخلّصهُ من الموت · لكنَّني لم أقدم على الامر فاعرّض بنفسي للتهلكة اذا ما أُعلم طيطس بذلك لاسيَّما ان هذا الشيخ مسنٌّ لا يمكنهُ الهرب وهو في حالة · · ·

قال هذا ثم تلعثم في كلامهِ وسكت وكانت الخمرة اللبنانيَّة لعبت في رأسهِ ورؤوس اصحابهِ فتثاقلت اجفانهم وما لبثوا ان غابوا عن الرشد

فقام سلوانس وخرج من الحانوت شاكراً لله على أنَّهُ علم بمكان صموئيل وبقائهِ في قيد الحياة طالباً اليهِ تعالى ان يرشدهُ الى الطريقة المثلى لخلاص سيّدهِ

وكان سلوانس لم يشكّ انهُ وجد ضالَّتهُ فانسلَّ من ساعتهِ من بين الجنود السكارى وعاد مسرعاً الى النزل الذي احتلَّهُ واخذ كيساً من الدراهم وحمَّلهُ العبدين اللذين ابتاعهما وامرهما بان يتبعاهُ ليساعداهُ على فكّ اغلال سيّدهِ

ثم تطايروا ركضاً الى ملعب المدينة وطلب سلوانس ان يواجه رئيس الحرس · وكان هذا رجلاً مسنّاً قصيراً اقنى الانف شثن الاصابع يطرف بعينيهِ دوباً وتلوح في وجههِ ملامح الطمع · فخاف سلوانس ان تفوتهُ الفرصة اذا اطال الحديث ومن ثمَّ عرض عليهِ بديهاً ان يبيعهُ احد العبيد الذين تحت نظارتهِ ممَّن أُعدُّوا للوحوش في غدٍ

فما سمع الحارس هذا الكلام حتى اقشعرّ بدنهُ وارتجف كانهُ صُفِع بصنمةٍ على أُمّ رأسهِ. فاخذ يتبرّم ويدافع ويحاول ويعتذر بما ينتظرهُ من العقاب لو نقص واحد من الاسرى الذين تحت امرهِ. الّا انّ سلوانس ادرك مرام الحارس فقال لهُ دون تلبُّثٍ: قل لي صريحاً كم تطلب بدلاً من اسيرك ؟

فعاد الحارث ثانيةً الى رجفتهِ واخذ ينظر حواليهِ ليرى أيكون احد سمع كلام سلوانس فيسعى بهِ لدى القوّاد. واجاب بصوتٍ ضعيف انهُ لا يرضى برشوةٍ

فتظاهر سلوانس بانهُ يريد الخروج وادبر قائلاً: فان لم تشأ فالامر اليك

الّا ان شيطان المال وسوس الى قلب الحارس فهرول الى سلوانس وامسكهُ بطرف ثوبهِ قائلاً: «قف لعلّهُ يمكننا ان نتفق». فعرف سلوانس انّ الحارس في قبضتهِ فقال: «دعني اخرج فاني لا اريد ان تخاطر بنفسك وتعرّض بحياتك الى التهلكة»

فقال الحارس: «نعم الّا اني حبّاً بك لا اضنُّ عليك بسلامتي. وكم تريد تنفق من المال في خلاص الاسير»

قال سلوانس: لك الحكم في اسيرك

قال الحارس: اطلب عشرة آلاف درهم

— هذا كثير ولكن هي لك فائتني باسيري

فلمّا رأى الحارس تسارُع سلوانس في الدفع ندم على اكتفائهِ بالقليل واراد ان يزيد في ثمن سلعتهِ. لكنّ سلوانس افحمهُ بقولهِ انهُ لا يعطي فلساً زائداً شاء الحارس أم أبى. فرضي الحارس وتصافقا على البيع

فاشعل الحارس فانوساً خفيف الضوء ومشى امام سلوانس ليقودهُ الى الاسرى فيختار الذي يريدهُ. فبعد ان قطعا سرباً مظلماً وصلا الى باب من حديد على جانبيهِ جنديّان بالسيوف المشهرة. فلمّا رأيا رئيسهما لم يفوها ببنت شفة وفتحا لهُ الباب بعد انحنائهما امامهُ

فصر الباب ودار على رزازهِ ثم دخل الحارس وسلوانس الى دهليز متّسع كان ينبعث منهُ رائحة كريهة وهو وطيّ السقف قليل النور والهواء. وكان هناك نحوٌ من خمسين اسيراً يقضون فيهِ ليلتهم الاخيرة قبل وداع الحياة ومنهم من يبكي ومنهم من يتنهّد الصعداء. واكثرهم حيارى سكارى ممّا ذاقوهُ من ضروب الاوجاع لم يكد ذكر

الموت يعمل فيهم بل يعدونهُ كنهاية عذابهم

فقال الحارس: هوذا الاسرى فعليك بمرغوبك. وكان سلوانس لظلمة المحل لا يكاد يميز احدًا فاخذ ينتقل من اسير الى آخر فيقرِّب الفانوس الى وجه كلّ منهم ليتعرَّف سيّدهُ وكان منظر هؤلاء الشيوخ العجزة تتفطر لهُ القلوب وكلهم في حالةٍ من ضعف القوى واصفرار اللون وغؤور العيون وتقلُّص الجلد يرقّ لها الجلمود. فكاد سلوانس يغشى عليهِ عند رؤية هؤلاء المنكودي الحظ. الّا انهُ تجلّد رغبةً في وجود ضالتهِ

فدار والحارس في السجن يفحص الاسرى واحدًا واحدًا فحصًا مدقّقًا وهو ينتظر بفروغ الصبر رؤية سيدهِ بينما كان الحارس يزاحمهُ ويستطيل فحصهُ. وكاد سلوانس ينتهي من فحص الجميع وهو لم يشاهد مطلوبهُ. فساءهُ ذلك جدًّا والتفت الحارس قائلًا: « او ليس بين اسراك رجل يُدعى صمونيل »

— لعلّهُ يوجد لكنني لا اعلم باسماء كل ماشيتي

ثم صرخ الحارس: « من منكم يدعى صمونيل » واذا بصوت ضعيف سُمع من بعض زوايا الدهليز « انا اسمي صمونيل ماذا تريد مني »

فوثب سلوانس اليهِ وقلبهُ يجب فرحًا. فرأى على قليل من الحشيش شيخًا انتصب مذعورًا على فراشهِ لمَّا سمع باسمهِ. فحدج اليهِ سلوانس بالنظر ليتحقّقهُ فلم يعرفهُ فسألهُ عن اسمهِ فقال: « صمونيل من باروت » وباروت هذه قريةٌ من قرى فلسطين فكان اسمها اشتبه على الجنديّ فظنّها بيروت الفينيقية

فعرف سلوانس انهُ خُدع بالاسم وانَّ صمونيل هذا ليس بسيّدهِ فبقي واجمًا كأنَّ السماء اصعقتهُ فهدَّت قواهُ. الّا ان الحارس انتهرهُ واضطرَّهُ الى ان يخرج مسرعًا. فخرج وقلبهُ مكسور لانَّ آخر بارقةٍ من الامل كانت توارت عنهُ فيئس من وجود سيّدهِ

ثم ألقى ببعض دريهمات للحارس الذي كاد يتميَّز غيظًا لمَّا رأى انهُ خسر المبلغ الموعود وحاول ان يستقضي من سلوانس أجرة اوفر لكنَّ هذا نظر اليهِ شزرًا واراهُ مديةً كان يواريها تحت ثيابهِ. فخاف الحارس على نفسهِ وتركهُ يرحل في سبيلهِ

ولمَّا خرج سلوانس من ذاك المكان انتعشت قواهُ باستنشاق الهواء. وسار في طرق المدينة بينما كان البدر التام يرسل باشعَّتهِ الفضيَّة على بيوتها. فمرَّ عند ساحة الملعب فرأى فئة من العبيد يهيئون عددًا من الصلبان ليُصلب عليها اسرى اليهود في غد ذاك النهار

- فأثّر فيه هذا المنظر وفكّر في الآلام التي سيقاسيها اولئك البائسون على هذه آلات العذاب. فمال بنظره عن هذا المرأى الفجيع. واتصل بعبديه اللذين كانا في انتظاره عند رواق المدينة خارجاً

ولمّا رأى انّ آماله قد خابت في وجدان سيّده رأى انّ الاجدر به ان يعود الى بيروت فينتظر قدوم بقيّة الاسرى وكان قد تحقّق انّ هؤلاء لا يُعرَضون ثانيةً في طريقهم للوحوش الّا في ملعب بيروت. فان كان سيده حيّاً فلا بدّ ان يلقاه هناك. وامّا اذا كان ميتاً . . . ولكن كيف يخبر سيّدته بموته افلا تكون هذه الضربة لازبة فتقتل الابنة وتلحقها بابيها ؟ . . .

الفصل الثالث عشر

سكرات الموت

من لنا ان نصف ما لحق بيهوديت المدعوة الآن باسم مريم من الحزن والكآبة اذ عاد اليها وكيلها الامين ساوانس من قيسارية صفر اليدين لم يعثر لابيها وعلة وجودها على اثر. فانّ سفر وكيلها كان آخر حبل اعتصمت به آمالها فرأته منتقضاً فشعرت مذ ذاك كأنها وقعت في لجّة من الاكدار والآلام وغاصت فيها بلا خلاص ولا مناص

نعم ان الايمان الجديد الذي كانت لاذت به كان يلطّف نوعاً اوجاعها ويقيها من اليأس والقنوط الّا انّ هذا الايمان نفسهُ كان من جانب آخر يزيد كأس احزانها مرارةً فيذيقها العلقم. وذلك انها لمّا كانت تحبُّ والدها من صميم الفؤاد كانت تؤمل ان تراه قبل وفاته لتجذبهُ الى دينها وتبيّن لهُ انّ يسوع الناصريّ هو هو مسيح الله ومنتظر الامم الذي وُعد به بنو اسرائيل منذ عهد موسى والانبياء. امّا الآن وقد تحقّق عندها موتهُ فكيف ترجو خلاصهُ بعد ان سمعتهُ مراراً يجدّف على هذا المخلّص في حياته. أفيمكن ان يجمعها في الآخرة فردوس واحد بعد ان اختلفا ايماناً ! فهذا الفكر كان يفعم قلب ابنة صمونيل كدراً ولا يدع لها راحةً البتّة. فكنت تراها تدور في انحاء دارها وهي كالمصابة بعقلها فتصرخ: « اوّاه مات ابي . . . هلك ! هلك . . . الى الابد ! »

وكان اذا ثاب اليها رشدها تحاول الصلاة لعلّها تلقى فيها تعزيةً وسلواناً. الّا انّ نفسها كانت تأبى ان تتعزّى فتكرّر هذه الالفاظ المفجعة: . . هلك ! . . . الى الابد !

وبينما كانت مغمورة في بحر اوجاعها ليس لها نصير ولا معين اذ خطر على بالها ذكر الاسقف الشيخ الذي نصَّرها ونجَّاها ممَّا احاق بها من الشدائد والضيقات . ولمَّا لم تقوَ على الخروج اليه لضعفها وانحلال جسمها ارسلت الى حانوتهِ احد عبيدها يدعوهُ الى دارها

فقام الشيخ لساعتهِ واخذ هراوتهُ ليتوكَّأ عليها . وكان يصحبهُ فتى صغير يقوده لانَّ نظرهُ كان قد ضعف وكلَّ فلا يكاد يجد طريقهُ في ازقَّة بيروت الملتوية وشوارعها المتعددة لاسيَّما انَّ افكارهُ كانت كلّها متَّجهةً الى العلويَّات وقلبهُ يناجي بلا انقطاع خالقهُ الذي كان يؤمّل مشاهدتهُ عمَّا قليل . فلمَّا تجاوز كوارتوس عتبة الدار سلَّم قائلًا:

ليحلَّ سلام يسوع على هذه الدار وقاطنيها .

قال هذا ووجَّه نظرهُ الى يهوديت فاراها محيَّاهُ الذي كان متنوّرًا بانوار السماء لا ينظر اليهِ احد دون ان يمتلئ قلبهُ مهابةً ووقارًا ثمَّ اردف :

ما لكِ تبكين يا ابنتي ؟ فاين ايمانكِ ؟ اتظنّين ان المسيح لا يقوم بوعدهِ الذي وعدكِ بهِ يوم احصاكِ في عداد خرافهِ ؟

ثم صار رجل الله يلاطف الفتاة ويسكّن جأشها ويرفع بنظرها الى العلو حيث يجب ان تُلقي بمرساة رجائها وتجمل ثقتها . ثم ذكَّرها بسميَّتها البتول التي كانت واقفة عند صليب يسوع ثابتةً في وسط الاوجاع لم تهدَّ ركنها آلام ابنها وفقد وحيدها فقاست من النكال ما لم يقاسهِ الشهداء وصبرت على نكالها الصبر الجميل حافظة في قلبها الرجاء الوطيد بقيامة ابنها

فكذلك مريم الجديدة ينبغي عليها ان تتجلَّد فتحتمل على مثال سلطانة الشهداء اوجاعها ريثما يأتيها الله بالفرج الموعود . وكيف تشكّ بخلاص والدها بعد المواعيد الالهيَّة التي ثبتت لديها يوم عمادها . أفليس احرى بها ان ترجو رغمًا عن كلّ خيبة رجاء

فكان لهذا الكلام احسن وقع في قلب يهوديت فنزل عليهِ كنزول الندى على العشب وبرَّد نفسها واثلج صدرها . ولمَّا قام الشيخ ليعود الى حانوتهِ احسَّت ابنة صمونيل بان دموعها قد نشفت وآبت اليها قوَّتها فودَّعتهُ وقبَّلت يدهُ شاكرةً وطلبت بركتهُ جاثيةً عند قدميهِ . فوضع كوارتوس يدهُ على رأسها طالبًا الى الله ان يبدّد غياهب حزنها ويقوّيها بروحهِ القدُّوس لئلَّا تقوى عليها بلايا هذه الدنيا

*

كانت بيروت تنتظر بزوغ الصبر قدوم طيطس وجنوده المظفَّرة فمنذ بلغ اهلها ان مدينة اورشليم صارت في حوزة الرومان لم يلهج الجمهور الّا بهذا الانتصار الباهر وهم يترصَّدون كلّ حركات الجيش القادم الى بيروت حيث أُعدَّت الحفلات البديعة لاستقبال ابن فسبسيان الظافر

فلمَّا كان اليوم العاشر من شهر تشرين الاوَّل خرج اهل بيروت زرافاتٍ ووحداناً لملاقاة الظافرين فدخلوا المدينة بعد ساعة بابهّة يندر لها مثيل. فكانت الموسيقى العسكريَّة تتقدَّم الجنود فيُسمع لآلات طربها اصوات تبعث الموتى من قبورها بينما كان الاهلون يحيُّون الجيش بتحيَّات ارتجَّت لها الارض وردَّدت اصداءها الجبال

امَّا العسكر المنتصر فكان ماشياً على نظام مهيب في صدره الفرسان الرومانيُّون وفرقتهم التي ابلت البلاء الحسن فذهب منها نحو نصفها الزمهم اعداؤهم العفو. ثم كان يليهم فرسان افريقية وهم يُعرفون بسواد جلدهم ثم فرسان غالية واكثرهم من جبابرة الرجال ثم فرسان العرب وشيوخ الصحارى الممتدَّة بين الفرات ودمشق ثم قوَّاسو تدمر ذوو الشهرة في الرمي. وكانت تلوح على وجوه كلّ هؤلاء امارات الكدّ والنَّصب وكثيرون منهم قد أُصيبوا بجروحٍ بلينة تراهم معصَّبين بالضمادات واللفائف قُطع لهذا ساقهُ ولذاك ذراعهُ

امَّا الخيل المطهَّمة فكنت تراها كالاشباحٍ كادت جلودها تلتصق بعظامها لما نالها من الجهد في الحرب. الّا انَّها كانت تمشي على رنَّات الموسيقى كأنَّها تشعر بما ادَّتهُ من الخدم او تشاطر اصحابها مجدهم

وكنت ترى بعد الخيل فئات من المُشاة يسيرون ثُلاث ورُباع وفي رأس كل فرقة الراية التي تميّزها. ولهذه الفِرَق اعداد تُعرف بها وكل فرقة تتركّب من ٦٠٠ جنديّ الّا انّ بعض هذه الفرق لم يرجع منها الّا نصفها او ربعها فسقط الباقون صرعى في حومة القتال. امَّا الباقون فكانوا على حالةٍ يُرثى لها قد ذاقوا من اهوال الحرب ما تشهد لهُ وجوههم الكالحة وجراحهم المتعدّدة. وكان هذا يوم انتصارهم اعاد لهم قواهم فكانوا يمشون ورؤوسهم عالية وثغورهم باسمة. امَّا الفرقة العاشرة فكانت

بقيت في اورشليم لتتأثر اعقاب اليهود وتقتل من اختفى منهم في اسراب المدينة ومغاور الجبال لئلا يعودوا الى الثورة

وفي آخر هذا الموكب الجليل كان طيطس وهو مكلَّل بالغار راكب على جوادهِ يسير بهيبة وجلال ويسلّم على الجموع المزدحمة حولهُ وكلّها تحيّيهِ باصوات البهجة والظفر. وكان هذا القائد في مدّة هذه الشهور الثانية التي قضاها في اورشليم قاسى من الهموم والاتعاب ما لا يفي بوصفهِ قلم. فكان الذي يراهُ يظنّهُ وهو بعدُ في عزّ شبابهِ انهُ جاوز الخمسين من عمرهِ. ولذلك كانت جلبة القوم لا تؤثّر فيه كأنهُ لا يعدُّ انتصارهُ شيئًا بالنسبة الى ما لحق بالرومان من ضروب النكبات

امّا وراء القائد الظافر فكنت ترى عددًا لا يُحصى من الاسرى المشدودين بالحبال يسيرون سيرًا رويدًا كأنّهم الغنم يُقادون الى الجزرة وعلى جانبيهم صفّان من الجند وبايديهم السيوف المسلولة والقسيّ الموتورة والسياط الممدودة لضرب المتأخرين. وكان الذي ينظر الى هؤلاء المنكودين وهم مكشوفو الرؤوس ارجلهم دامية بلا احذية يرسفون بقيودهم ويسترون عريهم بأخلاق من الثياب لا يتمالك من عواطف التحنّن عليهم والرقّة لهم لاسيّما اذ كان يعرف ما ينتظرهم في ملعب بيروت من العذابات المرّة

فأثّر هذا النظر في الشعب المقبل للتحيّة على الظافرين وكاد يلعن الحرب الاورشليميّة. وبلغت الرحمة في قلوب بعض الحاضرين مبلغًا جعلهم يحسنون الى الاسرى فيأتونهم بالماء ليرووا غليلهم ويغسلوا دماء ارجلهم (ستأتي البقيّة)

مطبوعات شرقية جديدة

L'HABITATION BYZANTINE
par le Général L. de Beylié
Paris, E. Leroux, 1902-3, pp. 217 — Supplément, pp. 39
المسكن البوزنطي للجنرال ل. دي بيلي

من شاء ان يعرف ما يتكلّفهُ العلماء في سبيل الآثار الشرقيّة فعليهِ بهذا الكتاب الذي يجمع بين غزارة المادّة وسعة العلوم الهندسيّة والفنيّة مع نفاسة الطبع وحسن التصوير. وصاحبهُ احد القوّاد الفرنسيين المشهورين خصّص اوقات فراغهِ لدرس المنازل التي كان يبتنيها اهل القسطنطينيّة مع وصفها وتعريف هندستها وخواصها وما كان

لهذه الابنية من التأثير في البناء الاوربي. والمؤلف فضلٌ عظيم في ذلك لانَّ اكثر ما صبر على الدهر من آثار البوزنطيين انَّما هي المباني الدينيَّة امَّا بقايا المنازل والبيوت فنادرة جدًّا لا تكاد تتجاوز عدد الانامل. ففحص حضرة الجنرال بيابي كلَّ هذه الابنية فحصًا مدقّقًا ورسم صورها وتقصَّى في كل المباحث اللاحقة بموضوعه كحنايا البيوت وطبقاتها وسطوحها واثاثها وتنسيق ابوابها. فتوصَّل الى هذه النتيجة انَّ البيت كان يجمع بين هندسة المساكن الرومانيَّة التي اتقنها البوزنطيُّون في أيَّام قسطنطين والمساكن الشرقيَّة الحاليَّة التي تُرى في مدن البحر المتوسّط. ولعلَّ حضرتهُ لو اطلع على رحلة الاب ميشال جوليان الى سوريَّة الشماليَّة لوجد في وصفهِ الآثار البوزنطيَّة المدنيَّة الباقية حتى اليوم ما يؤيد قوالهُ في امور عديدة. وعلى كلّ حال انَّنا نثني على همَّة الجنرال الكاتب ودقَّة نظرهِ في الابحاث العويصة ونحضُّ المهندسين على مطالعة تآليفهِ لاتقان اصول الهندسة الشرقيَّة القديمة

The Quatrains of Abu'l-Ala

Selected and translated by A. F. Rihani, *New-York* 1903 pp. 144

رباعيَّات ابي العلاء المعرّي

كان المسيو نيقولا احد قناصل فرنسة في العجم نقل الى الفرنسيَّة رباعيَّات الشاعر العجمي عُمَر الخيَّامي منذ نحو نصف قرن ثم نُقلت الى اللغة الانكليزيَّة فشاعت في اوربَّة. واليوم قد اهتمَّ احد السوريين المهاجرين الى نيويرك الاديب امين ريحاني بنقل ابيات اخرى مثلها الى الانكليزيَّة انتقاها من ابي العلاء المعرّي من كتابَيه لزوم ما لا يلزم وسقط الزند ويعتبرها كرباعيَّات سبق فيها ابو العلاء عمرَ الخيَّامي فسار عمر على منوالهِ آخذًا عنهُ والفضل للسابق. على انَّ المترجم ينسب الى كلا الشاعرين الزندقة والكفر وتلك وصمةٌ برَّأنا منها ساحة ابي العلاء المعرّي في المشرق (٤: ١٠٦٨) بمقالة أستحسنها عموم القرَّاء وشكرنا عليها ادباء المسلمين. وعليه فلا نرضى بما كتبهُ جناب المترجم في هذا الصدد لكنَّنا نُثني عليه لحسن نقلهِ الشعر العربي الى الشعر الانكليزي مع اتقان طبع كتابهِ

تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر

تأليف الاديب جرجي افندي زيدان (جزءان ص ٢٥٩ و ٢٤٤) مصر ١٩٠٢–١٩٠٣

لصاحب مجلَّة الهلال نشاط عظيم في نشر التآليف الادبيَّة التي يُقبل عليها القرَّاء.

لسهولة عبارتها وتفنُّن مواضيعها وتوفر فوائدها. ومن مصنَّفاتهِ الحديثة من هذا القبيل كتابٌ حسن ضمَّنهُ تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر وقسمهُ الى جزئين يحتوي الاوَّل منهما تراجم من نبغ في الشرق من ملوك وامراء وقوَّاد ورجال الادارة والسياسة مصدِّرًا تأليفهُ بتراجم امراء العائلة الخديويَّة. امَّا الجزء الثاني فقد خصَّهُ بتراجم اركان النهضة العلميَّة والمنشئين وكتَّاب الجرائد وسائر رجال الاقلام والشعراء الذين شرَّفوا القرن المنصرم. ونحن مع ثنائنا على همَّة مؤلف هذا الكتاب نراهُ مقصِّرًا في امور جمَّة او مبالغًا فيها. فمن جانب المبالغة جعلهُ بين المشاهير بعض الخواص الذين لم يلعبوا في عالم السياسة ادوارًا تستحقّ الذكر كامبراطورة الصين تسي هسي (ص ١٥٤) والمملوك مراد بك (ص ١٩٢) وكذلك نظمهُ لبعض الغربيين في سلك مشاهير الشرق كاريت بك الفرنسوي وعمر باشا النمسوي وان احتجَّ بانهم اشتهروا في الشرق عددنا لهُ مئين من الاوربيين غيرهم اشتهروا ايضًا في بلادنا ولم يذكرهم كدي ليسبس وشمپوليون وبروغش وستانلي. وكذلك قد بالغ في ترجمة بعض هؤلاء الخواص مبالغة لا نسبة بينها وبين بقيَّة التراجم كترجمة متمهدي السودان وخلفهِ عبد الله التعايشي. امَّا من جانب النقص فيبوسة بعض التراجم كترجمة المعلّم بطرس كرامه والشيخ يوسف الاسير. وكذلك اغفالهُ تراجم كثيرين من الادباء الذين هم اولى بالذكر من بعض الذين سرد اخبارهم نخصُّ منهم الشاعر والمؤرخ نيقولا الترك والقانونيّ نيقولا النقَّاش وصاحب الروايات مارون النقاش والكاتب ميخائيل البحري والسياسيّ جرجس باز والمنشئ الكونت رشيد الدحداح والوطنيّ يوسف بك كرم وغيرهم من المشاهير. وان شاء الله يسدُّ مؤلف الكتاب هذا الخلل في طبعةٍ ثانيةٍ فينقّح ويزيد وينقص حتى يُصبح كتابهُ كدستور يُرجع اليهِ في تراجم ائمَّة الشرق في القرن التاسع عشر ل. ش

شَذَرَاتٌ

اليسوعيُّون في معرض سنت لويس كان اليسوعيُّون الاميركيُّون منذ اربع سنوات اشتركوا في معرض التعليم والتهذيب الذي اقامتهُ الولايات المتَّحدة فنالت اعمالهم من الشهرة ما حمل الحكومة على ان تدعوهم اليوم للاشتراك في المعرض الجليل الذي يُعد في سنت لويس. وقد قرأنا في المهاجر في عددها العاشر للسنة الحاليَّة ما حرفهُ:

« اذن حضرة الاب لويس مارتين الرئيس العام للرهبنة اليسوعية بان تشترك هذه الرهبنة في معرض سنت لويس في العام المقبل وقد شرع المتولجون هـذا الامر برسمون الخرائط والتواريخ لاوائل اعمال اليسوعيين الذين قادم الاب ماركيت الى نواحي الغرب الشمالي والجنوبي في هـذه الديار وقد طلبت حكومة الجمهورية الاميركية من هذه الرهبنـة ان تعرض للعموم ما تشاء من نتائج اعمالها. فستنقسم معروضاتها التي تكون كلها علميـة تاريخية دينية ادبية الى اقسام كثيرة فالاول تشترك فيه كل من المعاهد السبع اليسوعية في مقاطعة سنت لويس ويحتوي على خلاصة اعمال المعلمين والمرسلين اليسوعيين منذ عام ١٨٢٣ حتى اليوم والثـاني يشمل خلاصة اعمال الكليات الاربع والعشرين المنتشرة في الولايات المتحدة لليسوعيين وتقوم بيوكلية مار فرنسيس كسافاريوس اليسوعية في مدينة نيويورك والثالث يشمل اعمال كلية سنت لويس وتوابعها في الواكي وشيكاغو وسنسيناتي واوماها ودترويت وسانت ماري كنسس

« وسيعرض اليسوعيون تماثيل ملونة لاشهر مشاهير العالم الذين تعلموا في مدارسهم ومنهم الشعراء طاسو وكلديرون وموليار وكورنايل . والعلماء غليليو وديكارت وفيكو وموراتوري . والقادة الحربيون كوندي وتيلي وڤالنستين. واحبـار رومانيون منهم الثلث الرحمات لاون الثالث عشر وقد قال ناظر المعروضات الدينية المستر كابن « ان قسم اليسوعيين سيكون من اعجب المناظر المفيـدة في المعرض ولا شك انهُ يزرع في العقول هذه الامثولة : « ان هذه العصابة من الرجال الفضـلاء قد كانت عاملًا كبيرًا في عمران هذه الجمهوريَّة الكبرى »

المعمَّرون في سيلان جزيرة سيـلان مشهورة بكثرة الشيوخ الذين يربي فيها عمرهم على المئـة . وفي الاحصاء الاخير وجد عدد هؤلاء ١٤٥ نفساً منهم ٧١ رجلًا و ٥٤ امرأة

نومٌ اشبه بموت ماتت في هذه السنة امرأة اسمها موغريت بوينغال أُصيبت قبل عشرين سنة بخوفٍ عظيم اثَّر فيها فالقاها على الحضيض كالميتة وبقيت في سباتها عشرين عامًا . وكان اهلها يغذونها بغذاء صناعي . وفي نيسان من السنة الحاليَّة أفاقت من سباتها الَّا انَّها مُنيت بدمَّلتين في ذراعها وساقهـا ذهبتا بحياتها في ٢٧ أيَّار المنصرم

الآلات الكتابيَّة في اميركة الشماليَّة قد بلغ عدد المعامـل التي تستحضر آلالات الكتابيَّة خمسين معملًا يشتغل فيها ٤٥٠٠ عامل ولأصحابهـا راس مالٍ لا يقلُّ عن مئتي مليون فرنك

داء السرطان وشفاؤهُ اثبت الدكتور فنسن من كوبنهاغ انَّ النور من انجع الوسائل لشفـاء داء السرطان والدماميـل (Lupus) وهو يجمع

بعدسيَّات من البلّور اشعَّة الشمس فيفرز بينها الاشعَّة البنفسجيَّة ويجرّدها عن حرارتها بان يجيزها في ماء مقطَّر. فاذا وقعت هذه الاشعَّة على الجلد المصاب بهذا الداء قتل جراثيمهُ الميكروبية. وقد عالج الدكتور فِنْسِن ٨٠٤ اصابة فشفي ٤١٢ من المصابين الشفاء التامَّ وكان الداء قد استعصى في بعضهم على الاطبَّاء منذ سنين

أَسْئِلَةٌ وَأَجْوِبَةٌ

س سأل من الناصرة حضرة الخوري ي. الهاروني هل يجب على الكهنة ان يداوموا تلاوة الصلوات المفروضة من لاون الثالث عشر في آخر القداس

ج يقتضي مداومتها بامر مجمع الطقوس في ١١ ايلول وبمصادقة الحبر الاعظم بيوس العاشر

س وسأل من زحلة جناب سعيد افندي امين: ١ً ما معنى قولهم في الجرائد « بلا امتنان » في الادعية بعد قولهم « سيدنا ومولانا ». ٢ً ما هو معنى اسماء الشهور المسيحية المستعملة حتى يومنا مثل كانون وشباط الخ

ج نجيب (على الاوَّل) يراد بقولهم في الدعاء « سلطاننا او مولانا بلا امتنان » انَّ وجود ذلك المولى او السلطان نعمة منهُ تعالى اعطاها لرعيَّتهِ دون فضل سابق اوجب منحها. ونجيب (على الثاني) انَّ اسماء الشهور المسيحيَّة « كانون شباط نيسان » اسماء قديمة جدًّا استعملها الآراميُّون والعبرانيُّون واخذوها عن البابليين. امَّا معناها فقد اختلفوا فيهِ كل الاختلاف فمنهم من يجعلها نعوتًا دالَّة على فصول السنة ومنهم من يدَّعي انَّها اعلام لآلهة الى غير ذلك ممَّا لا يمكن القطع بهِ

س وسأل بعض ادباء البلدة: ١ً ما معنى المثل كأنَّ على رؤُوسهم الطير ». ٢ً من هو بكر ابن النطَّاح الذي قال البيتين الواردين في تقويم المشرق في ١٦ تشرين الاوَّل:

ارانا معشر الشعراء قومًا   بألسنا تنعَّمت القلوبُ
اذا انبعثت قرائحنا اتينا   بالفاظٍ تُشَقُّ لها الجيوبُ

ج نجيب (على الاوَّل) انهُ يراد بقولهم « كأنَّ على رؤُوسهم الطير » اي انَّهم في سكونٍ وهدوءٍ حتى لو كان الطائر مع نفورهِ على هامتهم لما فرَّ طائرًا. وقيل انَّ اصل ذلك انَّ الغراب يحطُّ على رأس البعير فيلتقط منهُ القراد ونحوه من اذاهُ فلا يتحرَّك البعير لئلا ينفر الغراب. ونجيب (على الثاني) انَّ بكر بن النطَّاح كان في عهد المأمون وخلفائهِ واشتهر بشعرهِ وبلائهِ في الحروب واسمهُ ابو وائل الحنفي. وقد مدح ابا دلف ومالك بن علي الخزاعيّ (راجع شروح مجاني الادب ص ٥٤٠) ل. ش